زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من الصف الأول إلى الثاني عشر

٢

خطب ومواعظ

وكلمات

المجموعة الثانية (٢٦-٥٠)

وفي مقدمتها مواعظ الصيام

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

غفر الله تعالى له



زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذه المجموعة الثانية من الخطب التي ألقيتها في المساجد في فترات متفرقة، وبعد تفريغها والمراجعة والتعديل، نشرتها ليستفيد منها من شاء الله تعالى.

وبعد تفريغ جميع الخطب، سنقوم بعون الله تعالى بترتيبها على المواضيع، لتخرج في كتاب واحد.

وقد قدمت هذا الجزء بمجموع كلمات من (مواعظ شهر الصيام).

ثم بعدها الخطب.

تنبيه: كل ما أذكره من الحديث فهو صحيح أو حسن.

اللهم اجعل لها القبول بين عبادك، وانفعنا بها في الدارين. آمين.

كتبه

أبو عبد الله محمد المصنعي

١٤٤٦ هـ.

****

الفصل الأول

مواعظ شهر الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

(مقدمة)

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بلغنا رمضان، ونسأله جل وعلا أن يعيننا فيه على الصيام والقيام، والأذكار والقرآن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من صلى وقام، وحج لله تعالى وصام، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فنحمد الله جل وعلا على كل خير ونعمة، ومن أعظم النعم التي ينبغي للمسلم أن يشكر الله جل وعلا عليها نعمة الدين، نعمة الإقبال على الله سبحانه وتعالى، ونعم الله جل وعلا كثيرة، فإذا وُفِّق العبد للإقبال على الطاعة، وإلى شكر الله عز وجل على توفيقه، فقد وُفِّق لخير كثير.

فالمنةُ لله سبحانه وتعالى الذي جعلنا مسلمين، الذي جعلنا من أهل الصلاة والصيام والزكاة والحج، المنة لله عز وجل الذي جعلنا من أهل القرآن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

فالمنة لله سبحانه وتعالى فهو الذي وفق وهدى، وهو الذي أعان واجتبى.

وها نحن في بداية شهر رمضان المبارك، فينبغي للمسلم أن يحرص فيه على الإكثار من تلاوة القرآن الكريم، قال الله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، فابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان المبارك، والعناية بالقرآن الكريم ينبغي أن يكون على دوام السنة، لكن تزداد العناية به في شهر رمضان، فالأعمال الصالحة تزداد أجرًا بشرف المكان والزمان، بشرف المكان كالحرم، وبشرف الزمان كرمضان، وسنذكر لكم في هذا الدرس وفي دروس قادمة شيئًا من فضائل رمضان، وكذلك حال السلف في رمضان، وإقبالَهم على الله سبحانه وتعالى.

لو لم يكن من فضائل الصيام إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا: (كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي).

أي: أن أجر الصيام لم يحد بحسنات معدودة كسائر الأعمال، بل جعل الله سبحانه وتعالى أجر الصيام مخفيًّا ومخبئًا لصاحبه إلى يوم يلقى الله سبحانه وتعالى، فهذا الكلام (وأنا أجزي) كناية عن عظيم الأجر الذي لا يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: (للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه).

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، إذا وفقك الله جل وعلا لإتمام طاعة فافرح؛ فإن هذا من توفيقه سبحانه وتعالى، وإذا وفقك لإتمام الشهر فافرح؛ فإنما وفقك من أجل أن يكرمك في الدنيا والآخرة.

قال: (وفرحة عند لقاء ربه) حيث يرى من أجور الصيام ما لم يكن في الحسبان فيفرح فرحًا عظيمًا شديدًا.

نسأل الله جل وعلا أن يبلغنا إتمام هذا الشهر الكريم، وأن يتقبل منا إنه جواد كريم،

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.



(٢)

(العبادات التي اشتمل عليها شهر الصيام)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

كلمتنا في هذا اليوم موعظة عظيمة، وهي في بيان العبادات التي اشتمل عليها شهر الصيام، وأنه قد حوى خيرًا كثيرًا، وحسنات متتابعة، فلا يزال المسلم الموفق يتنقل بين أوقاته من حسنة إلى حسنة، ومن عمل صالح إلى عمل صالح، والموفق من وفقه الله سبحانه وتعالى.

١ – من هذه العبادات التي تقع في شهر رمضان: الصيام.

فصيام شهر رمضان هو أفضل الصيام؛ لأنه ركن من أركان الإسلام، وأركان الإسلام هي أجل الأعمال.

٢– ومن العبادات التي اشتمل عليها شهر رمضان: القيام في جماعة.

ولا يخفى أن أجر الجماعة مضاعف على أجر الفرد، وصلاة الرجل في جماعة أفضل من صلاته وحده، وكلما زاد الجمع كان الأجر أكثر، وقد أجمع المسلمون على شرعية صلاة القيام [التراويح] في جماعة في رمضان، بخلاف غير رمضان فإن

الاستمرار على الجماعة في نوافله خلاف السنة.

٣- ومن العبادات العظيمة التي تكثر في رمضان: تلاوة القرآن الكريم.

وإن كانت مشروعة في سائر العام، لكن شهر رمضان هو شهر القرآن، وتلاوة القرآن الكريم من العبادات العظيمة، وقد كان السلف يستغلون شهر رمضان في الإكثار من التلاوة، فهو شهر القرآن الذي ابتدأ نزول القرآن فيه.

ولنا بإذن الله سبحانه وتعالى درس آخر نذكر فيه فضل القرآن الكريم، وشيئًا من أخبار السلف في ذلك.

٤- ومنها: السُّحور.

فإن السحور يعد من العبادات العظيمة التي ينبغي للمسلم أن يحافظ عليها، لو لم يكن فيها إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكْلة السحر).

٥- ومنها: تأخير السحور.

فأكلة السحر تعتبر عبادة، وتأخير هذه الأكلة إلى قرب الفجر يعد أيضًا عبادة أخرى؛ لأن السنة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك أنس وغيره تأخير السحور إلى قبل الأذان الثاني، يعني: أنه يجعل فراغه من سحوره قريبًا من الأذان الثاني.

٦- ومنها: تعجيل الفطور.

فتعجيل الفُطور بعد غروب الشمس مباشرة يعد من العبادات العظيمة، بل ومن مزايا هذه الأمة، كما جاء في حديث أبي ذر الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار)، ومن حديث سهل بلفظ: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)، وفي حديث أبي هريرة بلفظ: «لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ».

فينبغي للمسلمين أن يكون أذان المغرب بُعَيد غروب الشمس، ثم يفطرون ويبادرون إلى صلاة المغرب.

ويخطئ كثير من الناس حيث يطيلون الوقت في ما بين أذان المغرب وصلاة المغرب؛ حتى يصل إلى ما يزيد عن عشر دقائق.

٧- ومنها: الإيمان بفرضيته ومنها الاحتساب لأجره.

٨- ومن العبادات برمضان أيضًا: الاعتكاف.

وهو مشروع في جميع السنة، لكن فضله في رمضان عظيم.

وسيأتي الكلام عليها.

٩- ومنها: الجود والكرم والصدقة.

تقع في رمضان وفي غير رمضان، لكن مزيتها في رمضان أكثر وأعظم.

وسيأتي الكلام عليها.

١٠- ومنها: العمرة.

ففضلها في رمضان أعظم، فعمرة في رمضان تعدل حجة.

١١- ومن العبادات المختصة برمضان: زكاة الفطر.

إخراج زكاة الفطر يكون في آخر رمضان خاصة، وهكذا إخراج الزكاة عمومًا في رمضان، فلا يزال المسلمون يخرجون زكاة أموالهم في رمضان من زمن قديم من عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

١٢- كذلك من العبادات العظيمة التي تكثر في شهر الصيام: إطالة القيام.

كان السلف الذين فتح الله جل وعلا عليهم بقيام الليل يستكثرون من القيام، ويطيلونه في رمضان ما لا يطيلونه في غيره، وهناك عبادات أخرى لا يتسع المقام لذكر جميع العبادات، وقد ذكرناها في موضع آخر.

والله المستعان وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

****

(٣)

(فضل تلاوة القرآن الكريم)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

كلمتنا اليوم في فضل تلاوة القرآن الكريم وتأثيره على القلوب، وهو كتاب الله العظيم، وكلامه المتين، منه نزل وإليه يعود، فكلام الله سبحانه وتعالى أفضل الكلام، وتلاوته من أفضل الأعمال، وقد مدح الله سبحانه وتعالى الذين يُقبلون على كتابه بالتلاوة والعمل، وهكذا أيضا بتعلم أحكامه وتعلم ألفاظه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ . ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾، الآيات من سورة فاطر، وفيها فضل القرآن الكريم، وكذلك في فضل

ورثة القرآن الكريم، وتلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى والإقبال على ذلك يدل على إيمان في القلب، وصلاح في النفس وهمة عظيمة عند صاحبها، فإن كثيرًا من الناس تضعف هممهم عن المداومة على كتاب الله سبحانه وتعالى، فالذين سَمت نفوسهم وقلوبهم إلى هذا العمل الصالح، والاستمرار عليه هم الأخيار، وهم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري من حديث عثمان رضي الله عنه.

وهؤلاء هم أهل الله تعالى، كما في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله أهلين من الناس أهل القرآن هم أهل الله وخاصته). فهنيئا لك أيها المقبل على كتاب الله سبحانه وتعالى، هنيئا لك يامن لا يمر عليك يوم من سنَتِك إلا وأنت ترتل كلام ربك سبحانه وتعالى.

أما في رمضان في شهر القرآن فينبغي للمسلم أن يتميز في هذا الشهر الكريم بكثرة الإقبال على كتاب الله سبحانه وتعالى، وأن يفرِّغ من أعماله الدنيوية، وكذلك العملية والعلمية، يفرِّغ من أوقاتها ليزداد في تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى، كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان أن يفرِّغ لكتاب الله سبحانه وتعالى وقتًا أكثر من سائر العام، وهكذا كان هدي السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين وأتباعهم؛ إذا جاء رمضان أعطوا كتاب الله سبحانه وتعالى من

الوقت ما يكون زائدًا عن سائر العام، مع أن كثيرًا منهم كان حريصًا على كتاب الله سبحانه وتعالى طوال العام، يقرأ في اليوم الربع أو النصف لكن في رمضان يزداد رغبة وشوقًا وتلذذًا بالنظر في كتاب الله عز وجل وبتلاوته.

يُذكر عن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن في ركعة.

هذا في سائر العام فما ظنك في رمضان؟

وهكذا يذكر عن التابعي الأسود بن يزيد النخعي أنه كان يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، فإذا جاءت العشر الأواخر كان أكثر تلاوة لكتاب الله سبحانه وتعالى، وكذلك يذكر عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه كان يختم القرآن في رمضان في كل يوم مرة، فإذا جاءت العشر الأواخر ختم كل يوم مرتين، وربما ختم في الليل مرة وفي النهار مرة، جعل الله سبحانه وتعالى لهم البركة في أوقاتهم، والبركة في أعمالهم، بسبب إقبالهم على هذا الكتاب المبارك.

من أقبل على كتاب الله سبحانه وتعالى وهو الكتاب المبارك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، جعل الله عز وجل له بركة في علمه وفي عمله، وفي رزقه وفي حياته كلها.

وآثار السلف في كثرة التلاوة كثيرة، ومن أعجب ما قرأت ما في الصحيح وفي خارج الصحيح أيضًا أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لعبدالله بن عمرو:

(اختم كل أسبوع). فقال: يا رسول الله دعني أتمتع بشبابي.

هذا الشباب وهذا العمر أفضل ما صُرفت أوقاته فيه هو في كتاب الله سبحانه وتعالى، تعلُّمًا وتعليمًا ودعوة وعملًا، وما أشبه ذلك من الأعمال الصّالحة العظيمة المباركة التي ينبغي للمسلم أن يغتنم عمره فيها.

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن وأن يوفقنا فيه للصيام وللقيام ولصالح الأعمال ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.



(٤)

(المسابقة إلى الصلاة)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

كلمتنا في هذا اليوم عن أهمية المسابقة إلى الصلاة، ونحن في شهر السباق، وفي شهر النشاط، وفي شهر الإقبال على العبادة، وعلى ذكر الله عز وجل، وعلى المنافسة في الخيرات.

ومن أعظم السباقِ السباقُ إلى الصلاة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، ومن أجلِّ الخيرات الصلاة. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾.

التبكير والمسارعة إلى الصلاة، دليل على تعلق القلب بالمسجد، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله: (ورجل تعلق قلبه بالمساجد).

كذلك بارك الله فيكم، المسارعة إلى بيوت الله سبحانه وتعالى دليل على الإيمان.

ودليل على حب الخير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا

مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾

رجال لا يتأخرون عن الطاعات، ولا تلهيهم صفقات التجارة، ولا صحبة الخلان، ولا الانغماس في متابعة الجوال، إلى غير ذلك، فهذه من البركة العظيمة التي يجعلها الله سبحانه وتعالى في أعمال العباد، حتى يدرك ما لا يدرك غيره.

فبمسابقته إلى الصلاة إلى المسجد يكون من السابقين إلى الخير، ويكون ممن أدرك الأذان، وردد كلماته وحاز على الأجر والثواب في ذلك.

ويكون ممن أدرك السنة القَبْلِية.

ويكون ممن أدرك فرصةً للدعاء بين الأذان والإقامة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: (الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد).

ويكون مسابقًا إلى إدراك تكبيرة الإحرام.

ويكون مسابقًا إلى الأخذ بالجد والعزم والحزم، طاردًا للعجز والكسل والوهن.

ويكون بمسابقته إلى الصلاة وإلى المساجد من القدوة الحسنة، يكون قدوة لغيره، ومحفزًا لغيره على هذه الطاعات المباركة.

كذلك بارك الله فيكم الحريص على السباق إلى الصلاة، يحرص على حسن أدائها، وهذا هو الذي تنفعه صلاته، وينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

ولهذا قيل التبكير الى المساجد من شأن البعيدين عن الفحشاء والمنكر.

وهذه الآية جمعت أصول صلاح العبد، وهي: تلاوة القرآن الكريم والعمل به، وإقامة الصلاة في وقتها ومكانها وصفته وحسن أدائها، والإكثار من ذكر الله تعالى.

كذلك إذا كان بين الأذان والإقامة وقت طويل، كما هو الحاصل في بعض البلدان، فإن المُبكر الى الصلاة، والمسابق الى هذه الطاعة المباركة يجد فرصةً لتلاوة القرآن الكريم، ولذكر الله سبحانه وتعالى، فلا يزال يصلي ويقرأ ويذكر الله ويدعو الله سبحانه وتعالى إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة التي تكون من نصيبه دون نصيب ذلك المتأخر.

فإن المتأخر إلى جانب أنها تفوت هذه الفضائل، وهذه الفرص العظيمة في الطاعات، فإنه كذلك ربما يفوت على نفسه جزءًا من الصلاة.

وبعضهم لا يلهيه شيء ولكن دب فيه الوهن والكسل، فلا يجد اندفاعًا ولا رغبة في الخروج إلى الصلوات المفروضة إلا حين يسمع الإقامة.

وإذا نظرت بعد تسليمك الى الصفوف المتأخرة إلى أولئك الذين يقضون الصلاة تجد أن أكثرهم هو ذاك الذي يتكرر منه هذا الفعل كل يوم.

وقد كان السلف لجلالة الخير في قلوبهم من أحرص الناس على السباق إلى هذه الطاعة المباركة.

يقول وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى: كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبير الأولى.

وكذلك ذُكر عن القاضي تقي الدين سليمان أنه قال: لم أصل الفريضة قط منفردًا إلا مرتين، وكأني لم أصلها قط.

وجاء أيضا عن سعيد بن المسيب أنه قال: ما أذن المؤذن منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد.

وقال الشعبي رحمه الله تعالى: ما دخل وقت صلاة حتى اشتاق إليها.

يعني ما يأتي وقت الصلاة إلا وقد اشتاق متى يأتي هذا الوقت؛ ليتلذذ بهذه العبادة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (وجعلت قرة عيني في الصلاة).

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من المسابقين الى الطاعات وإياكم.

وأن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى، ونسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. بارك الله تعالى فيكم جميعًا. والحمد لله رب العالمين

(٥)

(تأثير القرآن الكريم في عيون المؤمنين)

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فهذا هو المجلس الخامس من مجالس شهر رمضان المبارك، شهر القرآن الكريم، كتابِ سبحانه وتعالى من تدبره ازداد إيمانًا وخشوعًا ورقة قلب.

حديثنا في هذه الكلمة عن تأثير كلام الله سبحانه وتعالى في قلوب المؤمنين وأعينهم. فالمؤمن يزداد إيمانًا بتلاوة كتاب الله عز وجل، ويزداد خشوعًا، لا سيما في هذا الشهر الكريم، ولا سيما في صلاة التراويح، قال الله جل وعلا عن المؤمنين الصالحين، في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وجلت، أي: خافت، وإذا خشع القلب دمعت العين.

ولا يزال هذا دأب الأنبياء والرسل، ودأب الصالحين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

فإذا كان هذا حال الأنبياء وحال الصالحين وحال الأتقياء، فينبغي للمذنب ألا

يبقى قاسي القلب، جاف العين قليل الخشوع، وهو أحوج ما يكون إلى الخشوع والبكاء والتوبة، والإقبال على الله تعالى.

إن تضييع الصلاة واتباع الشهوات هو الذي يقسي القلوب، ويضعف الخشوع، قال الله جل وعلا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، انظر إلى الفريقين: فريق إيمان وتقوى وسجود وخشوع وبكاء، والفريق الآخر فريق قسوة وغفلة وشهوة.

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: إذا استكمل العبد الفجور ملك عينيه يبكي بهما متى شاء.

أي: إذا كان العبد قد بلغ في الذنوب والمعاصي مبلغًا كبيرًا فهو لا يبكي بمجرد سماع الآيات، وإنما يبكي متى يشاء رياءً.

نسأل الله جل وعلا أن يلطف بنا.

فالمؤمن والمتدبر لكلام الله عز وجل إذا سمع كلام الله سبحانه وتعالى غالبًا أو كثيرًا لم يملك نفسه.

قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ عليَّ القرآن. قال فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، قال: (حسبك). فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

وتقول عائشة رضي الله تعالى عنها: قال النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة من الليالي: (يَا عَائِشَةُ ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي) ، قَالَتْ: " فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ ، ثُمَّ بَكَى ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ" ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ ، قَالَ: (أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، الآيات من آخر آل عمران.

وهذا كان هدي الصحابة رضي الله عنهم، لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرض موته قال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) تقول عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف إن يكن مقامك يبكي، فلا يقدر على القراءة. وفي بعض الروايات: لم يسمع الناس صوته من البكاء.

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: بابٌ إذا بكى الإمام في الصلاة.

وقال عبدالله بن شداد سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف وهو يقرأ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾.

وجاء عن محمد بن المنكدر أنه قام ذات ليلة يصلي، ثم بكى وكثر بكاؤه حتى فزع أهله، فسألوه ما الذي يبكيك؟ فاستعجم واستمر في بكائه، فأرسلوا إلى صديقه أبي حازم وأخبروه بأمره. فجاء أبو حازم فقال له: يا أخي ما الذي أبكاك؟ قد أفزعت أهلك. فقال له إني مرت بي آية من كتاب الله عز وجل.

قال وما هي؟ قال قول الله جل وعلا: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.

قال: فبكى أبو حازم معه واشتد بكاؤهما.

والله المستعان، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لطاعته، وأن يعيذ قلوبنا من القسوة والغفلة،

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه

****

(٦)

(رمضان شهر الكرم)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

كلمتنا في هذا اليوم بعنوان رمضان شهر الكرم، دلنا على ذلك أدلة، منها ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل في كل ليلة فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجودُ بالخير من الريح المرسلة.

هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا حاله، وهو الذي قال: (يأبى الله لي البخل).

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

إن الكرم صفة عظيمة في رمضان وفي غير رمضان، وكلما عظمت ثقة العبد بالله جل وعلا كان أسخى وأجود، قال الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فالصدقة في هذا الشهر الكريم، والإحسان وبذل المعروف، يعد من أجل الأعمال وأفضل القربات.

والصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع مصارع السُّوء، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة).

فهذه الصدقة التي قال فيها النبي صلاة والسلام: (والصدقة برهان)، برهان على صدق إيمان صاحبها، حيث آثر ما عند الله سبحانه وتعالى، وبذل مما في يده.

وقد كان السلف رضوان الله عليهم، وهم خيار هذه الأمة من أكرم الناس.

يذكر عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما وكان من المشهورين بالجود والمعروف، أنه ذات مرة مرض فقل عُوَّاده، أي: الزائرين، وكان قبل ذلك قد أقرض الناس أربعين ألفًا، فعجب من حاله، وقال لامرأته: لماذا قل عوادي؟.

قالت: من كثرة ديونك عليهم. فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة.

ثم أمر مناديًا ينادي: من كان لقيس عليه مال فهو في حِل منه.

قال: فما أمسى حتى كُسرت عتبة بابه من كثرة من عاده.

قيل لابن المنكدر رحمه الله تعالى: أي الأعمال أحب إليك؟

قال: إدخال السرور على المؤمن.

قيل: فأي الدنيا أحب إليك؟

قال: الإفضال على الإخوان.

وكان الشافعي رحمه الله تعالى يذكر هذا البيت الجميل، الذي يعتبر حكمة في هذا الباب، قال:

وأفضل الناس ما بين الورى رجل ... تقضى على يديه للناس حاجاتُ.

ومع ذلك ينبغي يكون مبتدأ الكرم على الأقارب، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح من حديث ميمونة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله أشعرت أني اعتقت جاريتي؟ قال: (لو أعطيتيها أخوالك كان أعظم لأجرك).

وفي قصة زينب امرأة عبدالله بن مسعود وقد جاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صدقتها لزوجها وأولادها، فقال: (هي صدقة وصلة).

فالكرم على ذي القربى وعلى الجار، وما أشبه ذلك، يعد من أفضل الكرم، ومن أحسن الجود، لما فيه من منفعة الصدقة، وكذلك من منفعة الصلة والبر على الأقربين أو على الجيران، وما أشبه ذلك.

فلا ينبغي للمسلم أن يحتقر نفسه في هذا الشهر الكريم.

كان جعفر بن أبي طالب يُلَقب بأبي المساكين، وكان إذا لم يجد شيئًا يتصدق به على المساكين، أخرج لهم وعاء السمن فيلعقونه، أو وعاء العسل فيلعقونه، فلا يحب أن يرد المسكين من بابه، فيجود من الموجود، مما في يده ولو كان قليلًا. (لا تحقرن

من المعروف شيئًا)، هكذا يقول نبيك صلى الله عليه وسلم.

ولو كان ما تبذله قليلًا؛ فإنه مع الإخلاص يصير كثيرًا.

قال صلى الله عليه وسلم وهو يبين مضاعفة الصدقة التي عظُم الإخلاص فيها «لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ قَلُوصَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ».

فتعظم الأجور مع الإخلاص، والصدق وحسن النية والرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لفعل الخيرات وترك المنكرات.

صلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.



(٧)

(خير الناس أنفعهم للناس)

الحمد لله وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك وعلى آله وصحبه. أما بعد:

نحن في هذا الشهر الكريم، شهر التفاعل في الإقبال على الخيرات، وفي نفع الآخرين، شهر يجد الإنسان نفسه ترغب في فعل الحسنات، وفي الإحسان إلى الناس.

نقرأ حديثًا يعد من أجمع الأحاديث في الترغيب في نفع المسلمين، من باب الترغيب في فعل الخير.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ، وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَه، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي

حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ).

رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج، والطبراني في الكبير وغيره، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله تعالى.

وهذا الحديث حديث عظيم جامع.

(أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس)، ومن أعظم النفع الذي تنفع الناس به أن تنفعهم في دينهم، إما بنصحهم، وإما بتعليمهم، وإما بزجرهم عن الشر الذي يضرهم في الدنيا أو في الآخرة.

فأنفع الأعمال التي تقدمها للناس، وأنفع الصدقات التي تبذلها للآخرين، ومن أعظم الإحسان الذي تقدمه للمسلمين، هو: أن تعلمهم دينهم، وأن تحرص على أن تردهم إلى الله سبحانه وتعالى، وأن تحبب الخلق إلى خالقهم، وتحبب الخالق الى خلقه.

هذا أنفع الأعمال على الإطلاق.

ثم يأتي بعد ذلك نفع الناس في أمور الدنيا، لما ذكر في هذا الحديث، وفي حديث:

(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).

(أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم)، تدخل عليه السرور بما هو مشروع، وكذلك بما هو مباح، إما بهدية وإما بإعانة، وإما بشيء مما ذكر في هذا

الحديث، فـ(لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق).

ما أكثر الذين يعانون من همٍّ، وأمور نزلت بهم، فيأتي هذا الرجل الخيِّر فيسعى في كشف هذه الهموم والغموم والأحزان، فيحل مكانها السرور والاطمئنان.

ثم ذكر بعض الاعمال الطيبة المباركة التي قَل من يشمر ساعديه إلى فعلها.

قال: (تكشف عن كربة) كربة دين، كربة قضية، كربة عدو، إلى غير ذلك من الكرب، (ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) شتان بين العمل والجزاء.

(أو تقضي عنه دينًا) والدَّين همٌّ بالليل، وذل في النهار.

فإذا قضيت عنه دينه لا سيما دين من يلح في قضاء دينه فأنت بذلك قد نفعته نفعًا عظيمًا، وتدخل في أهل هذا الحديث.

(أو تطرد عنه جوعًا) لا سيما في زمن الشدة، وفي أوقات الحروب، ما أكثر ما يعاني الناس من أمور عظيمة.

(ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من ان أعتكف في هذا المسجد شهرًا).

لو اعتكف شهرًا في المسجد النبوي، ويصلي مع ذلك كل صلاة بألف صلاة، لحاز بذلك الأجور العظيمة، والمناقب الشهيرة.

ولكن مع هذا إذا مشى في قضاء حاجة أخيه المسلم يرجى له من الأجر ما هو أعظم مما ذكر.

(ومن كظم غيظه ولو شاء يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة)، كظم الغيظ، والصبر عند الغضب، هذا من أجل الأعمال، ولا يقوم به إلا فُحول الرجال، وأهل الإيمان، فكثير من الناس ينساق مع الغضب، ويرتكب الخطأ من حيث يشعر أو لا يشعر.

(ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبِّتها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام).

أي: حتى يقضيها له، ويصل إلى مراده منها.

وهذا كله في الأمور المشروعة والمباحة، لا في المنهيات والشبهات.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لفعل الخيرات، وترك المنكرات ونفع المسلمين، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

****

(٨)

(رمضان فرصة عظيمة)

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فنحمد الله سبحانه وتعالى الذي من علينا بهذه الطاعة المباركة، في هذا الشهر العظيم شهر رمضان، وشهر رمضان يعد فرصة عظيمة من فرص الحياة: فرصة عظيمة للتوبة، فرصة عظيمة للازدياد من الخير، فرصة عظيمة لتعديل النفس وكبح شهواتها، والشد من أزرها ودفع تكاسله.

رمضان فرصة عظيمة للازدياد من تلاوة القرآن، وكذلك للإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى.

فهذا الشهر فرصة عظيم فلا تفوتها على نفسك، فتكون من أولئك الذين ذكروا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: "آمينْ، آمينْ، آمينْ". قِيلَ: يَا رسول الله، إِنَّكَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ، فَقُلْتَ: آمِينْ، آمِينْ، آمِينْ، فَقَالَ: "إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتَانِي فَقَالَ لِي: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَم يُغفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينْ، فَقُلْتُ: آمِينْ. وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أحدَهُمَا فَلَمْ يبرَّهما فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ آمِينْ، فَقُلْتُ: آمِينْ.

وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ آمِينْ، فَقُلْتُ: آمِينْ". اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

وهذا حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان وغيرهما بأسانيد صحاح.

فإياك إياك أن تكون من أهل هذا الحديث الذين أبعدهم الله سبحانه وتعالى، فينبغي لك ألا يقتصر صيامك على ترك الطعام والشراب، وتبقى نفسك منطلقة فيما لا يحل، وتبقى عينك تنظر الى ما لا يجوز، ولسانك ينطق بما لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

جاء عند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رُب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورُب قائم حظه من قيامه السهر).

الشأن في الصيام كالشأن في الصلاة، ورُب شخص يخرج بصلاته تامة، وآخر يخرج بنصفها، وآخر بربعها، وآخر بعشرها وهكذا.

والصيام كذلك رُب شخص يخرج من صيامه تامًّا، ورب شخص يخرج بنصف أجره، وهكذا الربع والعشر وأقل من العشر، كل شخص ينال بقدر ما أخلص قلبُه وحسُن عمله.

جاء في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه).

آثام اللسان، وآثام الأفعال تضيِّع كثيرًا من الطاعات، وتُحرِم من كثير من المضاعفات على الحسنات، ألم يقل الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، وقال الله جل وعلا في السيئات: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فكما أن الحسنات سبب لذهاب السيئات، فكذلك السيئات سبب لذهاب وإضعاف الحسنات.

فإياك أن تفوتك هذه الفرصة العظيمة المباركة، فرصة شهر الصيام، الذي هو شهر تعديل النفس، وإصلاح القلب.

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كلمات طيبة نختم بها قال: لما كان المقصود من الصيام حبس النفس الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وثورتها، ويذكِّر بحال الأكباد الجائعة من المساكين، ويضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، ويحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويُسكِّن كل عضو منها وكل قوة عن جماحها، وتلجم بلجامها، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال؛ فإن الصائم لا يفعل شيئًا وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من

أجل معبوده، فمن ترك محبوبات النفس، وتلذُّذ ذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سر لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصيام، وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة وحميتها عن التخليط الجانبي لها، المواد الفاسدة التي استولت عليها فأفسدتها، واستفراغ للمواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾،

وقال النبي ﷺ: (الصوم جنة).

وأمر من اشتدت شهوة ولا يستطيع النكاح بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

والمقصود ان مصالح لما كانت مشهودة بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة، شرعه الله تعالى لعباده رحمة بهم، وإحسانًا اليهم وحِمية لهم وجُنَّة، وكان هدي رسول الله عليه وسلم فيه أكمل الهدي، وأعظم تحصيل للمقصود، وأسهله على النفوس.

انتهى كلامه. وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى اله وصحبه

****

(٩)
(فضل ومزايا قيام الليل)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك وعلى آله وصحبه. أما بعد:

كلمتنا في هذا اليوم عن فضل قيام الليل، لأننا في شهر الصيام والقيام، ومما يدلك على عظمة هذه العبادة أن الله جل وعلا شرعها طوال العام، وطوال العمر، فهي مشروعة في رمضان وفي غير رمضان، في السفر والحضر، في الصحة والمرض.

وفضلها عظيم عند الله سبحانه وتعالى، فهي شرف المؤمن، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (شرف المؤمن قيامه بالليل)،القيام بين يدي الله سبحانه وتعالى، وقيام الليل يدل على تقوى، يدل على رغبة في جنات النعيم، قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

فهذا حال أهل التقوى، وهذا مآلهم، ومع كثرة صلاتهم واستغفارهم وتسبيحهم وصلاحهم فإنهم لا يتركون التزود من العبادات، لا سيما هذه الصلاة المباركة التي هي دأب الصالحين من هذه الأمة، ومن سائر الأمم.

ويجد المسلم في صلاة الليل من الخشوع واللذة والنشاط، والرغبة في تلاوة كتاب

الله سبحانه وتعالى، ما لا يكاد يجده في غيرها.

فينبغي للمسلم أن يكون من عباد الرحمن، الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

المسلم الذي ينام جميع الليل ولا يصلي حتى الوتر شخص محروم والله، ومما يدل على ذم هذه الحال، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر له الشخص ينام حتى يصبح، ما يقوم في الليل، وما يصلي الوتر، فقال: (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه).

وأفضل صلاة الليل آخر الليل في الثلث الأخير، الذي تجاب فيه الدعوات وتنزل فيه الرحمات، لكن أهل العلم رأوا الصلاة أول الليل في رمضان، كما فعله عمر رضي الله عنه، بل هذا ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه صلى في رمضان أول الليل، فلما كانت الليلة الثانية صلى من أول الليل إلى بداية الثلث الأخير، فلما كانت الليلة صلى من أول الليل إلى وقت السحر.

فهذا نبينا عليه الصلاة والسلام في رمضان يقوم من أول الليل، ويصلي مع الجماعة لو لا أنه خشي أن تفرض لصلى لأصحابه كثيرًا.

ولأن صلاة الجماعة أنشط من صلاة المسلم وحده، إلا من وفقه الله سبحانه وحبب إليه الصلاة، فإنه يجد في صلاة الليل بمفرده من الراحة والاطمئنان والرغبة،

ويتسنى له من الإطالة والدعاء ما لا يتسنى في صلاة الجماعة.

وقد كان أصحاب النبي عليه والسلام يُعرفون بالجد والاجتهاد في صلاة الليل، ويكثرون منها، ثم جاء بعد ذلك التابعون فاستمروا على هذا الخير، وعلى الإقبال على الله سبحانه وتعالى، فربما يقوم أحدهم نصف الليل ربما يقوم ثلث الليل، وربما أكثر من ذلك.

ذكر عن منصور بن المعتمر أنه كان يقوم فيصلي من نصف الليل إلى الفجر، وكان يطيل القيام جدًّا حتى أن الشخص إذا خرج ورآه في سطح داره قائمًا يظنه خشبة قائمة، فلما مات رحمه الله تعالى تقول ابنة الأعمش يا ابتِ أين الخشبة التي كنا نراها في الليل في سطح منصور بن المعتمر؟ فقال: يا بنية ليست خشبة ولكنه منصور بن المعتمر كان يصلي الليل فيطيل القيام.

وجدوا لذة العبادة بعد أن جاهدوا أنفسهم عليها وقتًا طويلًا.

جاء بإسناد صحيح عن ثابت البُناني رضي الله عنه ورحمه الله تعالى، وهو من خيار التابع أنه قال: جاهدت نفسي على قيام الليل عشرين سنة، ثم قمته رغبة عشرين سنة.

فمن أراد أن يتلذذ بالعبادة فإن اللذة لا تأتي إلا بعد مجاهدة، وبعد استمرار وصبر واحتساب للأجر من الله سبحانه وتعالى.

(من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه).

فينبغي أن نشمر وأن نقبل وأن نحرص على هذه العبادة المباركة، لا سيما في هذا الشهر الكريم.

نسأل الله سبحانه وتعالى العون والسداد والتوفيق والرشاد.

صلى الله وسلم وبارك محمد وعلى اله وصحبه.



(١٠)

(معاني دعاء الوتر)

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه: أما بعد:

فنحن في هذا الشهر الكريم الذي يعتني فيه المسلمون بصلاة القيام وبدعاء الوتر، ودعاء الوتر دعاء عظيم، ينبغي للمسلم أن يحفظه وأن يفهم معناه.

وأفضل أدعية الوتر وأكملها معنًى هو ما ورد في حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوَتْرِ: (اللهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ).

هذا الدعاء يحمل من المعاني العظيمة ما سنذكر بعضه.

فقوله: (اللهم اهدني فيمن هديت) أي: اجعلني من أهل هدايتك، والهداية تشمل هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإعانة.

ففي هذا الدعاء سؤال الله تبارك وتعالى أن ييسر بهداية الدلالة والإرشاد، فيجد من يعلمه، ومن ينصحه، ومن يوجهه ومن ينفعه في طريقه إلى الله سبحانه.

وأيضًا هو سؤال إلى الله جل وعلا أن يوفقه وأن يعينه إعانة خاصة عظيمة على فعل الطاعات، وعلى الاستكثار من الحسنات، وعلى بلوغ أعلى الدرجات، وأن يعينه على ترك المنكرات، والبعد عن السيئات.

(وعافني فيمن عافيت) أي: أسألك العافية في ديني ودنياي وآخرتي، فإن العافية تشمل عافية البدن وعافية القلب، وسلامة الدين من الشرك والبدع والمخالفات، كل ذلك يدخل في سؤال الله جل وعلا العافية، وما أعطي أحد بعد صلاح دينه خيرًا من العافية كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (وَسَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ، بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنْ الْمُعَافَاةِ) رواه أحمد وغيره.

(وتولني فيمن توليت) سؤال إلى الله جل وعلا، وإلحاح على الله سبحانه وتعالى أن يختارك، وأن يجعلك من أوليائه، وأولياء الله جل وعلا هم من يحبهم سبحانه وتعالى، وينصرهم ويؤيدهم.

قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فأنت بسؤالك الولاية تسأل الله جل وعلا كمال الإيمان، وكمال التقوى، وتسأله المحبة والأمن في الدنيا والآخرة، وتسأله السداد فإن الله جل وعلا إذا تولى عبدًا سدده.

(وبارك لي فيما أعطيت) أي: ارزقني البركة، واجعل في رزقي وعملي واعتقادي وديني البركة. والبركة هي: ثبوت الخير ودوامه ونُموه.

فأنت حين تسأل الله جل أن يبارك لك في دنياك، تسأله يسر الرزق، وكذلك تسأله أن يجعلها حلالًا نافعًا، وكذلك حين تسأله بالبركة في دينك، تسأله أن ييسر لك فعل الخيرات والازدياد من الطاعات، وترك المنكرات والبعد عنها، وأن يجعل فيما تتعلمه وتعمل به البركة، والحسنات الكثيرة، والنفع في الدنيا والآخرة، وأن تكون منتفعًا به في نفسك، نافعًا لعباد الله جل وعلا.

(وقني شر ما قضيت) الله جل وعلا خلق الخير، وخلق الشر لحكمة عظيمة، فالعبد يسأل الله جل وعلا أن يصرف عنه الشر ما ظهر منه وما بطن، كبيره وصغيره، دقه وجله.

الشر الذي يكون من جهة نفسه، والشر الذي يكون من جهة أقرانه، والشر الذي يكون من جهة الشيطان، ففيه الاستعاذة والاستعانة بالله عز وجل أن يدفع عنه جميع الشرور.

(فإنك تقضي ولا يقضى عليك) أي: تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد.

ولا يقضى عليك، لا يوجب عليك أحد من خلقك شيئًا لم توجبه على نفسك.

فالله جل وعلا العزيز القوي الجبار الرحمن، فهو سبحانه وتعالى يقضي ويحكم، ولا

يقضي عليه أحد.

(إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ) لا يذل من تولاه الله تعالى، وإن نقص العبد في توليه لله تعالى، ابتلي من الذلة بحسبه، والجزاء من جنس العمل.

(ولا يَعز من عاديت) من عاداه الله جل وعلا فإنه لن يكون عزيزًا، بل سيبقى في الدنيا ذليلًا، وفي الآخرة حقيرًا، وإن تسلط في الدنيا وبطش وتجبر، فذلك من غضب الله تعالى عليه ليزداد عذابه.

(تباركت ربنا وتعاليت) تباركت: أي: تعاظمت وعمت بركتك جميع خلقك.

وتعاليت: أي: لك العلو المطلق، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فهو الأعلى ذاتًا وقدرًا وقهرًا وصفة، فالله جل وعلا موصوف بالكمال، فصفاته سبحانه وتعالى صفات كمال من جميع الوجوه.

وهذا الحديث بارك الله فيكم فيه فوائد أخرى كثيرة، فوائد فقهية، وفوائد عقدية، وفوائد وعظية، وفوائد تربوية، لكن لا يتسع المقام لسردها، وقد ذكرنا هذا في موضع آخر.

والله المستعان.

صلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه

****

(١١)

(الحث على ذكر الله تعالى)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد:

أيها الأخوة الأكارم، بارك الله فيكم.

كلمتنا في هذه اللحظات، وفي هذا المجلس في الحث على ذكر الله وتعالى، فإن فضل الذكر عند الله جل وعلا عظيم، ويزداد فضل الذكر بفضل الزمان والمكان، بدلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم (لأن أجلس مع قوم يذكرون الله عز وجل من بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل). فيزداد الأجر، وتعظُم الفضيلة بفضل الزمان.

وإن الله جل وعلا شرف هذا الزمان الذي نحن فيه شهر رمضان المبارك على سائر الشهور، فيزداد فضل الذكر، وفضل سائر العبادات في هذا الشهر.

وفضائل الذكر كثيرة. ومن أعظم الفضائل التي ذكرها الله سبحانه وتعالى مبينًا ما يجب على العبد في إقباله على الله عز وجل، قال الله سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ كلما وجد المسلم فراغًا سواءً فرغ من عبادة، والعبادات من ذكر الله وجل، أو وجد فراغًا من عمله الدنيوي؛ فإنه ينبغي له أن يقبل على

ذكر الله سبحانه وتعالى بجد ورغبة، سواء كان بمفرده أو كان الذكر مع غيره بالطرق الشرعية.

جاء من حديث سهل بن الحنظلية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يجتمع قوم على ذكر الله إلا قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم، فقد بدلت سيئاتكم حسنات).

وذكر الله جل وعلا بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وسائر الأذكار.

ومن أجل الذكر تلاوة القرآن الكريم، وحلقات العلم تعد من الأعمال الصالحة في هذا الشهر الكريم، فينبغي للمسلم أن يستكثر من التلاوة، فإذا وجد مللًا أقبل على التسبيح والاستغفار والتكبير والتهليل، فغذا وجد في ذلك شيئًا من الملل؛ فإنه ينتقل إلى مذاكرة العلم، وإلى سماع العلم، سواء عبر الأشرطة أو كان ذلك في التلقي المباشر عن أهل العلم.

فيتنقل الشخص كلما فرغ من ذكر انتقل إلى ذكر آخر حتى تتنوع العبادات لديه، وأيضًا حتى لا يمل إذا داوم على ذكر واحد، بعض الناس يعني يحصل له شيء من الملل، فلذلك يحتاج أن يُساير نفسه بالتنقل بين هذه الأذكار، من ذكر إلى ذكر.

ومما جاء في فضل الذكر، ما جاء من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: (حلق الذكر) رواه الترمذي وحسنه العلامة الألباني رحمه الله تعالى.

قال أهل العلم في معنى هذا الحديث: إن مجالس الذكر سبب لدخول الجنة؛ فلذلك سميت برياض الجنة. وقيل: إن مجالس الذكر تشبه مجالس أهل الجنة، إذا أردت أن تجلس مجلسًا يشبه المجلس الذي ستجلسه في الجنة إن شاء الله تعالى فعليك بحلق الذكر، فإن أهل الجنة شغلهم هو ذكر الله سبحانه وتعالى، كما في الحديث جابر رضي الله عنه: (يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما يلهمون النفس).

فهذا حال أهل الجنة، فأنت حين تقبل على ذكر الله سبحانه وتعالى تشبههم، وقد يشق عليك الأمر في ابتدائه، فإذا اعتدت عليه صار من ألذ الأمور، حين تعلم أن الأذكار تصحبك من الدنيا إلى الآخرة، فلا تزال تذكر الله جل وعلا بها حتى وإن دخلت الجنة.

ونختم بهذا الحديث الذي جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من جاء مسجدي هذا لم يأته الا لخير يتعلمه أو يعلمه

فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر الى متاع غيره). رواه ابن ماجه وصححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى.

استفدنا من هذا الحديث أن ذكر الله جل وعلا يجب أن يكون خالصًا لله جل وعلا، وأيضًا أن ذكر الله سبحانه وتعالى في الأماكن الفاضلة يعد أعظم أجرًا لصاحبه منه في غيرها، كما تقدم.

ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.



(١٢)

(شاب نشأ على العبادة)

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

نحن اليوم مع حديث عظيم من أحاديث المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ، الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ». متفق عليه.

وشاهدنا قوله عليه الصلاة: (وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ)، إن شباب المسلمين الذين ينشأون في عبادة الله عز وجل، وهكذا الذين يرجعون إلى الله سبحانه وتعالى في زمن شبابهم، وفي باكورة أعمارهم، يحصل لهم من الخير والأعمال الصالحة، والإنتاج النافع، ما لا يحصل لمن تقدم به العمر، وقد كان شباب المسلمين في صدر الإسلام يستغلون شبابهم في الخير، إما في كثرة الجهاد كما هو حال خالد بن الوليد،

وجمهور شباب الصحابة رضي الله عنهم، وإما في باب العبادة، كما كان حال عبدالله بن عمر، وهكذا حال عبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وعدد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، مع حرصهم على الأعمال الأخرى.

عبدالله بن عمرو كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وقد كان قبل ذلك يصوم كل يوم، فلما عاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الاكثار، قال: يا رسول الله دعني أتمتع بشبابي.

عبد الله بن عمر بن الخطاب، يقول مولاه نافع وكذلك ولده سالم: كان ابن عمر لا ينام من الليل الا قليلًا. هكذا تصرف الأعمار.

وعبدالله بن الزبير جاء في ترجمته أنه كان يطيل الصلاة، حتى إنه لتمر عليه الساعات وهو في الركعة الواحدة.

وهكذا بارك الله فيكم أعداد كبيرة من الشباب الذين صرفوا أعمارهم في حفظ كتاب الله وتعالى، ومنهم أُبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود. وغيرهم من الصحابة الذين تدور عليهم أسانيد القراءات.

كذلك من الشباب من كان قدوة عظيمة في تعليم العلم، وفي بذله وحفظه للناس.

فهذا زيد بن ثابت رضي الله عنه في شبابه جمع القرآن في مصحف واحد في زمن أبي

بكر، فلما تولى عثمان أعاد الكرة مع بعض شباب قريش فجمعوا القرآن مصحف واحد، ثم نسخوه إلى عدد من المصاحف، فبعث بها عثمان بن عفان إلى الأمصار، وهذه المصاحف هي التي لا تزال بأيدينا إلى هذا اليوم.

فانظر بارك الله فيك كيف يصرف هؤلاء الشباب أعمارهم.

ونحن في هذا الشهر الكريم ينبغي لنا جميعًا وللشباب خصوصًا أن يُرُوى الله سبحانه وتعالى من أنفسهم خيرًا، وإقبالًا ونشاطًا على العبادة.

تعجب من بعض الشباب الذين يكسلون في الصيام، فينامون أكثر الأوقات، ويكسلون عن القيام فيخرجون قبل الانتهاء من الركعات، ثم بعد ذلك تجدهم في الملاهي والسمرات، وغير ذلك، ربما لا ينامون إلى الفجر، فينشطون في الموضع الذي لا ينبغي النشاط فيه، ويكسلون في الموضع الذي ينبغي أن ينشط المسلم فيه.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم جميعًا لطاعته.وأن يعيننا على ذكره وشكره عبادته.

اللهم أصلحنا وأصلح أبناءنا وشباب المسلمين إنك جواد كريم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.



(١٣)

(أصول السعادة في الدارين)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

كلمتنا في هذا المجلس بعنوان أصول السعادة في الدارين.

اعلم بارك الله فيك أن أصول سعادة الدارين ثلاثة، ثلاثة تفعلها وثلاثة تجتنبها، أما التي تفعلها وتتعلمها وتعتقدها، فهي: التوحيد والسنة والطاعة.

وأما الأمور التي تجلب الشؤم والشقاء في الدارين؛ فهي الشرك والبدعة والمعصية، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لهم الأمن من عذاب الدنيا والآخرة، ولهم أكمل الهداية في الدنيا والآخرة، كلما ازداد الشخص تمسكًا بالتوحيد والسنة والطاعة وازداد بعدًا عن الشرك والبدعة والمعصية؛ عظمت هدايته وقوي إيمانه وأمانه.

هذه هي الحياة الطيبة الآمنة التي وصفها الله جل وعلا بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ليست الحياة الطيبة محصورة على كثرة الأموال والمشارب والمآكل، وتحقيق الرغبات، الحياة الطيبة وأعلى ما يجد الشخص من السعادة هو بالإقبال سبحانه وتعالى، والانطراح بين يديه، وإظهار الفقر إليه جل وعلا.

ألم تقرأوا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ لا يضل ولا يشقى في الدنيا ولا في الآخرة فأسعد الخلق أعظمهم عبادة وإقبالًا على الله سبحانه وتعالى.

وضد ذلك: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

وأما غير الله جل وعلا فكما قيل: "احتج الى من شئت تكن أسيره".

القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزكية، لا تجد ألذ ولا أحلى ولا أطيب ولا أعظم سرورًا، ولا أنعم من محبة الله سبحانه وتعالى، والإنس به والشوق إلى لقائه والإكثار من ذكره، إنها حلاوة يجدها في قلبه ويجدها في عمله.

مساكين أهل الغفلة، وأهل الشرك، وأهل البدع، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، وأسعدَ لحظاتها وهي لحظات التوحيد، والإقبال على الله سبحانه وتعالى، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ﴾. يكثر في أوساطهم الانتحار والبؤس، والحياة التعيسة، كل ذلك بسبب عن الله سبحانه وتعالى، فافرح أيها الموحد، وأيها السني وأيها المقبل على الله سبحانه وتعالى، افرح بما نلته من سعادة القرب من الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

ومع ذلك ينبغي للمسلم أن يعلم أن السعادة التامة والأمن التام إنما يكون في الجنة، فليعمل لدار النعيم ولدار السعادة؛ حتى يحصل على مراده في ذلك اليوم وفي تلك الدار.

نسأل الله جل وعلا أن يوفقنا جميعًا لطاعته، وان يأخذ بنواصينا إلى مرضاته، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات. والمؤمنين والمؤمنات.

ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه

❊❊❊❊

(١٤)

(من فوائد الاعتكاف)

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فنحمد الله جل وعلا الذي وفقنا لصيام كثير من رمضان، وها نحن على أبواب العشر الأواخر من رمضان، والتي فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفيها عبادة الاعتكاف العبادة العظيمة، التي شرعت من أجل التفرغ لعبادة الله سبحانه وتعالى، والاستكثار من العبادات، والتزود من الحسنات. فإن من أعظم مقاصد الاعتكاف هو التفرغ من مشاغل الدنيا والأهل والأولاد، ليجمع العبد قلبه على طاعة الله سبحانه وتعالى، ويعيش بين الصلاة والذكر والتلاوة والتسبيح والاستغفار.

ولا شك أن أجل هذه العبادات العملية هي الصلاة، لأن الصلاة تشتمل على القرآن، وتشتمل على الدعاء، وعلى الذكر وعلى كثير من الأعمال الصالحة الطيبة. بينما الاشتغال بالذكر وحده، أو بالتلاوة لا تدخل فيه الصلاة.

كذلك بارك الله فيكم من فوائد الاعتكاف أن المسلم مع إقباله على الطاعات

والعبادات يقوى إيمانه، ويزداد صلاحه وخيريته، ويجد في قلبه من الرقة اللين والخشوع ما لا يجده مع الاشتغال في الدنيا، كما هو مشهور في حديث حنظلة رضي الله عنه، أنه قال للنبي عليه الصلاة والسلام: إذا كنا عندك وذكرتنا بالجنة والنار كأنا نرى الجنة رأي العين، فإذا خرجنا وعافَسْنا الأهل والزوجات والضَّيْعات نسينا كثيرًا.

فكلما دنا المسلم وأقبل على الذكر وعلى التلاوة والطاعات، وجد من الأُنس والاطمئنان، والرغبة في الدار الآخرة شيئًا عظيمًا.

ومن فوائد الاعتكاف أن يجعلك تلازم أفضل البقاع في الأرض، وهي بيوت الله سبحانه وتعالى، تعمرها بالخير والطاعة، وقد قال الله جل وعلا: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ومن فوائد الاعتكاف أن المعتكف يروض نفسه على الاستكثار من الطاعات، كلما فرغ من عبادة أقبل على عبادة أخرى، ويروض نفسه أيضًا على الخلوة بربه تعالى، والأُنس بذكره والإقبال على عبادته، والتقلل من المأكل والمشرب والمنام، والتقلل

من الكلام ومجالسة الخلق، وما أشبه ذلك من الأمور التي تفرغ القلب إلى الله سبحانه وتعالى، فهذا شيء عظيم أن تقبل على الله سبحانه وتعالى متفرغًا لذلك برهة من الزمن، لا سيما مع كثرة مشاغل الدنيا؛ فإن العبد يفر منها إلى المسجد ليتفرغ لطاعة الله سبحانه وتعالى.

ولهذا من الخطأ أن تجد أن بعض المعتكفين مشتغلًا بجواله، وآخر مشتغلًا بالحديث مع جاره أو جليسه، حتى تضيع الأوقات وتذهب الساعات، ونحو ذلك من الأمور التي تخدش الاعتكاف، والتفرغ لطاعة الله سبحانه وتعالى. فهي أيام معدودات، أيام قلائل عشر ليال وعشرة أيام، تتفرغ فيها من أجل صلاح قلبك، ومعالجة ومحو ما قد طرأ عليه من الران بسبب الذنوب والمعاصي.

نسأل الله جل وعلا أن يصلح قلوبنا، وأن يوفقنا لقيام ليلة القدر، وأن يتقبل منا إنه جواد كريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

****

(١٥)

(عيدنا طاعة)

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فنحمد الله جل وعلا الذي يسر لنا إتمام هذا الشهر الكريم، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يجعل هذا الشهر شاهدًا لنا لا شاهد علينا.

وبعد هذه النعمة العظيمة مع شهر رمضان يجب علينا أن نشكر الله سبحانه وتعالى على ما أولانا من طاعته: الصيام والقيام وتلاوة القرآن...

فإن شكر النعم يجعلها تدوم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

ومن هذه النعم التي نعيشها في هذه الأيام أيام العيد، وأعياد المسلمين ستة أيام، كما جاء في حديث عقبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهلَ الإسلام).

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يوم الجمعة منفردًا، وقال: (فإنه يوم عيد).

فهذه الأيام أيام الأعياد تعتبر نعمة عظيمة، وسعة على المسلمين، ومع ذلك ينبغي لنا من وقفة تأمل في هذه الأيام كيف بدأت وكيف خُتمت.

وما هي الأعمال التي كانت سببًا في تفضيلها على سائر الأيام.

أما بالنسبة ليوم الجمعة فإن الله سبحانه وتعالى شرفه بصلاة الجمعة وخطبة الجمعة، وهذا هو السبب في كونه أفضل أيام الأسبوع.

فالأفضلية إنما هي بطاعة الله سبحانه وتعالى، وبذكره عز وجل.

وبهذا نعلم أن أعيادنا طاعة وطاعتنا هي عيدنا، أعياد ذكر لله سبحانه وتعالى، ففي يوم الجمعة إلى جانب صلاة الجمعة وخطبة الجمعة وفضلهما، فيها مشروعية الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، جاء من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه). صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وفي يوم الجمعة ساعة الاستجابة التي ينبغي للمسلم أن يتحرَّاها، وأن يدعو الله جل وعلا كثيرًا.

نسأل الله عز وجل من فضله – فإننا في هذه الساعة نعتبر في يوم الجمعة وفي الساعة الأخيرة منه، فنسأل الله جل وعلا أن يوفقنا وإياكم جميعًا لما يحبه ويرضى –.

وجاء من حديث أبي هريرة وعبدالله بن سلام، ومن حديث جابر والمعنى متقارب أن النبي قال: (فِي يَوْمِ الْـجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ)، وفي حديث ابن سلام أنها آخر ساعة.

وأيضًا تقرأ فيها سورة الكهف، فيوم مثل هذا يوم ذكر وهو يوم عيد، فعيدنا طاعة.

وتأمل أيضًا في عيد الأضحى وعيد الفطر، من ليلتهما يبدأ التكبير، فليالي الأعياد ليالي تكبير، ليالي ذكر.

ويصبح الناس أول ما يستفتحون عيدهم بالصلاة والخطبة، بذكر الله عز وجل، بالتكبير بالدعاء، جاء من حديث نُـبَيشة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذه الأيام أيام أكل وشرب، وذكر عز وجل).

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ وهي هذه الأيام أيام الأعياد.

وهي أيام الحج، والحج مع فضله وشرفه وهو ركن من أركان الإسلام وزمنه في أيام العيد، فيبدأ من يوم عرفة وينتهي بانتهاء أيام التشريق.

أيام عظيمة يقضيها المسلم مع ذكر الله وتعالى.

وحتى عيد الفطر فإنه من ليلة العيد يكبر المسلم ويذكر الله عز وجل بما شرع. قال الله تعالى في عيد الفطر: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وتقول أم عطية رضي الله عنها كان النبي عليه الصلاة والسلام يأمرنا أن نخرج لصلاة العيد، ونخرج الحيض وذوات الخدور ليشهدن الخير ودعوة المسلمين.

الخير كله في الإقبال على الله سبحانه وتعالى في العيد، وفي غير العيد.

فهذه جولة سريعة ليتأمل المسلم كيف عيده، وما هي أفضل الأعمال في هذا العيد، وأن العيد ليس توسعًا بالحرام، وإقبالًا على الملاهي التي تشغل عن ذكر الله سبحانه وتعالى. ولا بأس بالتوسع المباح والحلال، مع العناية الكبرى بذكر الله تعالى، وبطاعة الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل أعمارنا وأيامنا وساعاتنا في طاعته ورضاه. ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم،

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى اله وصحبه.

تم ولله تعالى الحمد والمنة

****

الفصل الثاني

الخطب المنبرية

٢٦ - ٥٠

(٢٦)

* لا تزهدن في الخير ولو قل [١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ، مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَإِنْ قَلَّتْ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ يَجِدُهَا فِي صَحِيفَةِ حَسَنَاتِهِ، وَرُبَّ عَمَلٍ يَسِيرٍ جَعَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِصَاحِبِهِ الْأَجْرَ الْكَبِيرَ. فَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ». فَلَا يَنْبَغِي احْتِقَارُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَلَوْ قَلَّ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا هُوَ الَّذِي يُنْجِيكَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وجَاءَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «لَا تَزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ الهجرية، شبوة.

مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي»، وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ».

أَيْ: لَا تَحْتَقِرِ الْإِحْسَانَ وَالصَّدَقَةَ وَالْبَذْلَ وَالْعَطَاءَ وَلَوْ كَانَ ظُلْفَ الشَّاةِ، وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُضَاعِفُ الْأُجُورَ وَالْحَسَنَاتِ بِقَدْرِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ رَغْبَةٍ فِيمَا عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمِنْ ذَلِكَ سَقْيُ الْمَاءِ، فَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَينَمَا رجُلٌ يَمشي بِطريق اشتَد به العَطشُ فوجَد بِئراً فَنزلَ فِيها فَشرِبَ ثُم خَرج فَإذا كَلبٌ يَلهَثُ يَأكلُ الثَرىَ مِن العَطَش فَقال الرَّجل: لَقد بَلغَ هَذا الكَلبَ مِن العَطشِ مِثل الَّذِي كَان بَلغَنِي فَنزلَ البِئرَ فَمَلأَ خُفهُ ثُم أَمسَكَها بِفِيهِ ورقَى فَسقى الكلبَ فَشكَرَ اللهُ لَه فغفرَ لَه»

وَجَاءَ أَيْضًا: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا»، عَمَلٌ يَسِيرٌ جَنَى مَغْفِرَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومنها: إِزَالَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ:

وَهو مِنَ الْأَعْمَالِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي يُرْجَى لِصَاحِبِهَا الْأَجْرُ الْعَظِيمُ، فَقَدْ جَاءَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: « مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ ». فَهَذَا الْعَمَلُ الْيَسِيرُ انْظُرْ إِلَى مَاذَا كَانَ نِهَايَةُ أَجْرِهِ.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الصَّدَقَةُ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ، وَلَوْ بِتَمْرَةٍ، وَلَوْ بِأَقَلِّ المَالِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا نَظَرَ إِلَى قَلْبِك فَوَجَدَ فِيهِ الصِّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ وَالرَّغْبَةَ ضَاعَفَ لَكَ الْأَجْرَ.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَيْضًا وَغَيْرِهِمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ »، أَيْ: وَلَوْ بِنِصْفِ تَمْرَةٍ تَتَصَدَّقُ بِهَا. وَجَاءَ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ الْعَظِيمِ ». أَيْ: أَجْرُهَا وَثَوَابُهَا يَصِيرُ كَالجَبَلِ يُوضَعُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِ صَاحِبِهَا.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي اللهُ عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاث تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ».

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ تعالى.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ. أَمَّا بَعْدُ، مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

فَمِنَ الْأَعْمَالِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي يَنْفَعُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهَا مَا كَانَتْ خَالِصَةً للهِ سُبْحَانَهُ الذِّكْرُ. فَذِكْرُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا يَسِيرٌ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلٌ فِي الْمِيزَانِ.

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ». وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ » أي: ثَوَابُهَا يَمْلَأُ الْمِيزَانَ.
وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»، وَهَكَذَا أَذْكَارٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي يَعْظُمُ ثَوَابُهَا دُعَاءُ دُخُولِ السُّوقِ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: « مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ». اللهُ أَكْبَرُ مَا أَيْسَرَهُ! لَكِنَّهُ يُقَالُ فِي مَوْضِعِ الْغَفْلَةِ، فَإِنَّ الْأَسْوَاقَ تَجْلِبُ الْغَفَلَاتِ فلذلك يَعظمُ أجرُ صاحبهِ.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي يَعْظُمُ أَجْرُهَا عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْمَالٌ تَعْدِلُ أَجْرَ الْحَجِّ، وَبِالرَّغْمِ أَنَّهَا تُفْعَلُ رُبَّمَا فِي دَقَائِقَ أَوْ سَاعَاتٍ.

كالمَشْيُ إِلَى الصَّلَاةِ. فَقَدْ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ وَهُوَ مُتَطَهِّرٌ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ مَشَى إِلَى سُبْحَةِ الضُّحَى كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ عَلَى إِثْرِ صَلَاةٍ لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ».

ومنها: الْأَذْكَارُ بَعْدَ الصَّلَاةِ: وَلَـمَّا سَأَلَ الْفُقَرَاءُ قَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ

أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ، تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ».

وصَلَاةُ الْفَجْرِ مع الذكرِ إلى الشروقِ تعدلُ حجةً، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ»، «تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ».

ومن ذَلِكَ المَشْيُ إِلَى حَلَقَاتِ الْعِلْمِ وَحضَورُ الدُّرُوسِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُ مُعْتَمِرٍ تَامِّ الْعُمْرَةِ، فَمَنْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ فَلَهُ أَجْرُ حَاجٍّ تَامِّ الْحِجَّةِ».

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الْيَسِيرَةِ أَيْضًا: النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ، أَنْ تَنْوِيَ الحَجَّ، تَنْوِيَ بِنَاءَ المَسَاجِدِ، تَنْوِيَ فِعْلَ الخَيْرِ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَجْعَلُ فِي هَذِهِ النِّيَّـةِ خَيْرًا. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى »، وَقَالَ: « مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ».

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، السَّبَاقُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالْمُسْلِمُ يَسْعَى إِلَى الْأَعْمَالِ الْكَبِيرَةِ وَالْعَظِيمَةِ وَيَسْعَى إِلَى الْأَعْمَالِ الْيَسِيرَةِ. لَا يَحْتَقِرُ الْمَعْرُوفَ، فَإِنَّ احْتِقَارَ الْمَعْرُوفِ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ. إِذَا رَأَوْا الْمُسْلِمَ يَعْمَلُ عَمَلًا يَسِيرًا قَالُوا: مَا يَنْفَعُ! كَمَا ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٢٧)

* الإسلامُ الجميل يأمرُك [١] *

(الخطبة الأولى)

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ، مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْنَا أَنْ جَعَلَنَا مُسْلِمِينَ مُوَحِّدِينَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهَذَا الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ، الدِّينُ الْكَامِلُ الَّذِي قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِيهِ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، فَهُوَ دِينٌ رَضِيَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْفَضَائِلِ، وَلِمَا فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ.

دِينٌ رَحِمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهِ النَّاسَ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾.

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ الهجرية، حضرموت الشحر.

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي مَنْ مَاتَ عَلَيْهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي يَجْعَلُهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

عَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

دِينٌ يُسْرٌ لَا حَرَجَ فِيهِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. فلا مشقةَ فيهِ، ولا تكلفُ نفسٌ إلا وسعهَا.

انْظُرْ إِلَى هَذَا الدِّينِ الْجَمِيلِ، كُلُّهُ فَضَائِلُ وَمَحَاسِنُ، كُلُّهُ جَمَالٌ وَصَفَاءٌ وَنَقَاءٌ.

دِينٌ جَمِيلٌ يَأْمُرُ بِتَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَالْجَمَالُ كُلُّهُ فِي تَوْحِيدِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَلَا إِسْلَامَ إِلَّا بِتَوْحِيدٍ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَالْإِسْلَامُ هُوَ تَوْحِيدُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَعِبَادَتُهُ.

فالَّذِينَ يَدَّعُونَ الْإِسْلَامَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمُ الْعِبَادَةُ أَوْ لَيْسَ عِنْدَهُمُ التَّوْحِيدُ؛ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ ». فالجنةُ لأهلِ التوحيدِ خاصةً؛ فَهَذَا هُوَ الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي مَنْ عَاشَ عَلَيْهِ وَمَاتَ عَلَيْهِ نالَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ فِي الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ.

إِنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا عَرَّفَ النَّاسَ بِالْإِسْلَامِ بَدَأَ بِتَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَكَانَ يَقُولُ: « أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا ».

أَوَّلُ مَا تَبْدَأُ فِي دَعْوَتِكَ لِتَعْرِيفِ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ لِيَكُنْ بِالتَّوْحِيدِ، فَمَنِ اسْتَجَابَ إِلَى التَّوْحِيدِ اسْتَجَابَ إِلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْأَخْلَاقِ وغيرِها.

قَالَ شَيْخُنَا مقبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "مَنِ اسْتَجَابَ لَكَ فِي التَّوْحِيدِ اسْتَجَابَ فِي سَائِرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ". وَهَذَا أَمْرٌ جَرَّبَهُ وَرَآهُ رَأْيَ الْعَيْنِ مَنْ يَعْمَلُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ، يَأْبَوْنَ الصَّلَاةَ، يَأْبَوْنَ الْأَخْلَاقَ، تَأْبَى نِسَاؤُهُمُ الْحِجَابَ، لَكِنْ إِذَا جَاءُوا بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَنَطَقُوا بها سُرْعَانَ مَا يَسْتَجِيبُونَ لِلْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، وَتَسْتَجِيبُ النِّسَاءُ لِلْحِجَابِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ.

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ التَّوْحِيدِ، وَأَنَّهُ رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْأَعْظَمُ، وَأَنَّهُ خِطَامُ الْقُلُوبِ.

ومَنْ أَكْمَلَ تَوْحِيده فقد أَكْمَلَ خُضُوعَهُ وَاسْتِجَابَتَهُ وَعِبَادَتَهُ لله جَلَّ وَعَلَا.

هَذَا الْإِسْلَامُ الجَمِيلُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَكُونَ مُسْتَقِيمًا عَلَى السُّنَّةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. كُلَّمَا ضَعُفَ الِاتِّبَاعُ ضَعُفَ التَّوحِيدُ وَضَعُفَ الْإِسْلَامُ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. صِرَاطِي؛ أَيْ: التوحيدُ وَالسُّنَّةُ.

إِنَّ الْإِسْلَامَ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ، مَنْ مَشَى عَلَى الْإِسْلَامِ اسْتَقَامَ بِاسْتِقَامَةِ هَذَا الطَّرِيقِ، وَأَمَّا الضَّلَالَاتُ وَالْبِدَعُ فَإِنَّهَا طُرُقٌ مُعْوَجَّةٌ.

فَمَنْ أَحَبَّ الْإِسْلَامَ فَلْيَلْزَمِ السُّنَّةَ، فإن مَنْ جَاءَ بِالْبِدَعِ فَقَدْ نَقَصَ مِنْ إِسْلَامِهِ بِقَدْرِ هَذِهِ الْبِدَعِ الَّتِي جَاءَ بِهَا وَالَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا.

فتأملْ مَا أَجْمَلَ الْإِسْلَامَ بِخِلَافِ الْبِدَعِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: « كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ »، الْبِدَعُ ضَلَالٌ وَالضَّلَالُ وَجْهُها قَبِيحٌ، بِخِلَافِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ وَجْهَهُ جَمِيلٌ مُسْتَنِيرٌ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ تعالى لِي وَلَكُمْ.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ، مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

إِنَّ الْإِسْلَامَ الجَمِيلَ يَأْمُرُنَا بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ مَنْزِلَتُهَا فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٌ جِدًّا. وتَبْدَأُ الْأَخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ مُعَامَلَةِ الْوَالِدَيْنِ، ويَظْهَرُ صِدْقُ الشَّخْصِ فِي أَخْلَاقِهِ فِي مُعَامَلَةِ وَالِدَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَالَ فِيهِمَا: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، فَالْإِنْسَانُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَجَمَّلَ بِجَمَالِ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ فَعَلَيْهِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ أَوْجَبُ الْأُمُورِ فِي بَابِ الْأَخْلَاقِ مَعَ النَّاسِ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ - أي: أخلاقي - قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» متفق عليه. كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يُظْهِرُ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالِابْتِسَامَاتِ عندَ الأصحابِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ عِنْدَ وَالِدَيْهِ يَغْضَبُ لِأَدْنَى سَبَبٍ، يَتَأَفَّفُ لِأَدْنَى أَمْرٍ، وَرُبَّمَا يَتَظَلَّمُ مِنْ وَالِدَيْهِ! أَيُّ أَخْلَاقٍ يَحْمِلُ هَذَا؟!

إِنَّ الْمُعَامَلَةَ السَّيِّئَةَ تُظْهِرُ شَيْئًا غَيْرَ جَمِيلٍ، حَتَّى الْكَافِرُ إِذَا رَأَى شَخْصًا يَعُقُّ وَالِدَيْهِ فَإِنَّهُ يَنْفِرُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِسَبَبِ مُعَامَلَةِ هَذَا الشَّخْصِ.

فَالْإِسْلَامُ دِينُ الْأَخْلَاقِ، وَتَبْدَأُ الْأَخْلَاقُ مِنَ الْبَيْتِ، مع الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ مع الْأَقَارِبِ وَالْأَرْحَامِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الْأَحَقِّيَّةِ بِحُسْنِ مُعَامَلَتِكَ جَلِيسُكَ الَّذِي يُكْثِرُ مِنْ مُجَالَسَتِكَ،

فَإِنَّمَا يَظْهَرُ حُسْنُ الخُلُقِ وَسُوءُ الخُلُقِ مَعَ الدَّيْمُومَةِ وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الْمُعَامَلَةِ وَالْمُجَالَسَةِ، أَمَّا مَعَ الْقِلَّةِ وَالزِّيَارَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَهَذَا يُحْسِنُ النَّاسُ كُلُّهُمُ التَّصَنُّعَ فِي الْأَخْلَاقِ.

وَدِينُ الْإِسْلَامِ الجَمِيلُ يَأْمُرُنَا بِالسِّتْرِ. رَأَى النبي ﷺ رَجُلًا كَاشِفًا لِفَخِذِهِ فَقَالَ: «غَطِّ فَخِذَكَ فَإِنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ»، الزِّينَةُ واللباسُ جَمَالٌ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهَا فِي الصَّلَاةِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، انْظُرْ كَيْفَ سَمَّى اللِّبَاسَ وَالسَّتْرَ زِينَةً، لِأَنَّهُ يُزَيِّنُ وَيُجَمِّلُ مَنْظَرَ الْإِنْسَانِ، خُذْ زِينَتَكَ فِي الصَّلَاةِ، وَهَكَذَا فِي الْمَلْعَبِ، وَهَكَذَا فِي الْمَسْبَحِ، وَهَكَذَا فِي بَيْتِكَ، دَائِمًا لِبَاسُكَ وَسَتْرُكَ يُظْهِرُ جَمَالَكَ وَجَمَالَ الْإِسْلَامِ الَّذِي تَلْتَزِمُ بِهِ.

كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ رَأَى فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ حُسْنِ اللِّبَاسِ، ورأى نِسَاءَهُمُ الْمُحَجَّبَاتِ فَتَأَثَّرَ

بِذَلِكَ وَأَسْلَمَ. ذَكَرَ أَحَدُ الْإِخْوَةِ أَنَّهُ كَانَ فِي مِصْرَ فَرَآهُ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى، رَآهُ يَلْبَسُ لِبَاسًا طَيِّبًا، ونِسَاءَهُمْ مُحَجَّبَاتٌ، إِذَا مَرَّتِ النِّسَاءُ الْتَفَتَ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَتَعَجَّبَ من حالِه، فقَالَ: لِمَاذَا أَنْتَ هَكَذَا؟ النَّاسُ كُلُّهُمْ يَنْظُرُونَ. قَالَ: "هَذَا حَرَامٌ فِي دِينِنَا." قَالَ: وَهَلْ تَخُونُونَ نِسَاءَكُمْ أَوْ هُنَّ يَخُنَّكُمْ؟" قَالَ: "لَا، الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا فَقَطْ وَالزَّوْجُ لِزَوْجَتِهِ فَقَطْ." قَالَ: أَمَّا نَحْنُ فَيَحْصُلُ كَذَا وَكَذَا.

أَنَا أُرِيدُ الْإِسْلَامَ فِي الْيَمَنِ، وَأَتَزَوَّجُ فِي الْيَمَنِ زَوْجَةً أَنَا لَهَا وَهِيَ لِي فَقَطْ.

يَتَأَثَّرُ النَّاسُ حَتَّى بِمَظَاهِرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَكَذَلِكَ بِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَنَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَتَجَمَّلَ بِهَذَا الْإِسْلَامِ الْجَمِيلِ الَّذِي جَمَالُهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَوْ لَمْ يَتَكَلَّمْ صَاحِبُهُ.

وَجَدْنَا أُنَاسًا كَثِيرِينَ مِنْ حُدَثَاءِ الْإِسْلَامِ فَسَأَلْنَاهُمْ: مَا الَّذِي دَفَعَكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالُوا: رَأَيْنَا أَخْلَاقَ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْبَبْنَاهَا وَأَسْلَمْنَا.

وفي قصةِ ثمامةُ بنُ أثالٍ رضيَ اللهُ عنهُ، قيّدهُ النبيُّ ﷺ في المسجدِ وهوَ كافرٌ وأكرمهُ، أعطاهُ الطعامَ والسقيا ولمْ يجرحْهُ بالكلامِ. ثمَّ بعدَ أيامٍ قالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ». فلما رأى هذهِ الأخلاقَ ذهبَ واغتسلَ ثمَّ رجعَ وأسلمَ وقالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ،

وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٢٨)

* الموت يأتي بغتة (١) *

(الخطبة الأولى)

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، نَحمَدُهُ تَعَالَى حَمدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ، أَمَّا بَعدُ:

مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ، أُوصِي نَفسِي وَإِيَّاكُم بِوَصِيَّةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ [النساء: ١٣١]. فَتَقوَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا عَمَلٌ بِكِتَابِهِ الكَرِيمِ وَاقتِدَاءٌ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وهِيَ الزَّادُ لِيَومِ المَعَادِ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] وأمرَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بالنَّظَرِ إِلَى المَوتِ وَالآخِرَةِ، قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ الهجرية، يافع.

هَذِهِ الآيَةُ أَوَّلُها نِدَاءٌ لِمَنِ اتَّصفُوا بِالإِيمَانِ وَالخَيرِ وَالتَّوحِيدِ وَالسُّنَّةِ، يُنَادِيهِم رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: يَحُثُّهُم وَيُرَغِّبُهُم وَيَأمُرُهُم أَن يَتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، وإِذَا كَانَ المُؤمِنُ الصَّالِحُ يَحتَاجُ إِلَى تَقوَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَكَيفَ بِالعَاصِي وَالمُقَصِّرِ؟ كَيفَ بِمَن دُونَ ذَلِكَ؟

ثُمَّ قَالَ يُوصِي عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾. لِتَنظُر نَفسٌ مَاذَا قَدَّمَت لِمَا بَعدَ المَوتِ مِن عَمَلٍ، مِن صَالِحَاتٍ تُعِينُ عَلَى الثَّبَاتِ عِندَ المَوتِ، وَعِندَ سُؤَالِ القَبرِ، وَفِي القَبرِ، وَالحِسَابِ، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ عَلَى الصِّرَاطِ.

فَهَذَا هُوَ الغَدُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا المُسلِمَ أَن يَنظُرَ مَاذَا قَدَّمَ لَهُ، وهَذِهِ الآيَةُ الَّتِي كُرِّرَ فِيهَا الأَمرُ بِتَقوَى اللهِ هِيَ مِن أَجلِ أَن يَنظُرَ المُسلِمُ وَالمُؤمِنُ وَالصَّالِحُ وَمَن دُونَ ذَلِكَ مَاذَا قَدَّمَ لِغَدِهِ. وَاللهُ المُستَعَانُ.

مَاذَا قَدَّمتَ لِسَكَرَاتِ المَوتِ؟ فَإِنَّكَ لَا تَثبُتُ فِيهَا إِلَّا بِقَدرِ ثَبَاتِكَ عَلَى الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلَا ثَبَاتَ بِشَجَاعَةٍ وَلَا بِمَالٍ وَلَا بِجِسمٍ، وَإِنَّمَا الثَّبَاتُ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، بِتَوحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾

[إبراهيم: ٢٧].

مَاذَا أَعدَدتَ لِلحِسَابِ الَّذِي يُحَاسِبُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِيهِ العِبَادَ عَلَى الصَّغِيرِ وَالحَقِيرِ، وَعَلَى كُلِّ مَا عَمِلَ؟ كَمَا قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ عَنِ بعضِ الناسِ: ﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف: ٤٩].

إِنَّ المَوتَ مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ فِيهِ عِظَةٌ وَذِكرَى وَحَثٌّ وَتَحفِيزٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «أَكثِرُوا مِن ذِكرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» أَكثِر وَفَكِّر أَنَّهُ سَيَنزِلُ بِكَ يَومًا مِنَ الأَيَّامِ بِلَا استِئذَانٍ وَلَا إِنذَارٍ وَلَا استِعدَادٍ، وَإِنَّمَا يَأتِي بَغتَةً، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] إِنَّمَا يَأتِيهِم فِي وَقتٍ لَا يَحسِبُونَ لَهُ حِسَابًا.

فَالمُوَفَّقُ مَن أَعَدَّ لِهَذِهِ اللَّحظَاتِ عُدَّتَهُ. رُبَّ رَجُلٍ خَرَجَ فِي حَاجَتِهِ يَبحَثُ عَن طَعَامِهِ أَو رِزقِهِ أَو عَمَلِهِ، فَيَرجِعُ إِلَى بَيتِهِ جَنَازَةً.

رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فِي شِدَّةِ الفَقرِ جَمَعَ شَيئًا مِنَ المَالِ وَخَرَجَ فَرِحًا مَسرُورًا لِيَأتِيَ لِأَولَادِهِ بِكِيسٍ مِنَ البُرِّ، وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ تَأتِي سَيَّارَةٌ فَتَصْدِمُهُ حَتَّى تَرمِيَ بِهِ بِالجِهَةِ الأُخرَى، وَيَتَفَرَّقُ وَيَتَنَاثَرُ ذَلِكَ البُرُّ، وَتَأتِي سيارة كبيرة مِنَ الجِهَةِ الأُخرَى فَتَمْسَحُهُ عَلَى الأَسفَلتِ، فَعِندَ ذَلِكَ يُجمَعُ بِالمَسَاحِي وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ، وَيُعَبَّأُ اللَّحمُ فِي كِيسٍ وَيُعَادُ إِلَى البَيتِ. بَينَمَا هُوَ أَرَادَ أَن يَرجِعَ بِكِيسٍ مِنَ البُرِّ، رَجَعَ كِيسًا مِنَ اللَّحمِ.

فَالمَوتُ مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ لَا يَنظُرُ إِلَى فَقرِ الفَقِيرِ، وَلَا إِلَى صِغَرِ الصَّغِيرِ، وَلَا إِلَى صَلَاحِ الصَّالِحِ، وَلَا إِلَى فَسَادِ الفَاسِدِ، إِنَّمَا هُوَ أَجَلٌ مَحتُومٌ، لَا يُؤَخَّرُ وَلَا يُنتظِرُ وَلَا يَرحَمُ وَلَا يَهَابُ أَحَدًا.

إِذَا كَانَ الأَنبِيَاءُ عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَاءَهُمُ المَوتُ، وإِنَّ هَولَ المَوتِ شَيءٌ عَظِيمٌ، يَنسَى الإِنسَانُ فِيهِ الدُّنيَا وَلَا يُفَكِّرُ إِلَّا بِالآخِرَةِ.

أَقُولُ مَا سَمِعتُم وَأَستَغفِرُ اللهَ العظيم.



(الخطبة الثانية)

الحَمدُ لله رَبِّ العَالِمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ الكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ، أَمَّا بَعدُ: مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ، لَمَّا حَضَرَ نُوحٌ عَلَيهِ السَّلَامُ المَوتَ أَوصَى بِوَصِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، أَوصَى بِتَوحِيدِ الله جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّ التَّوحِيدَ هُوَ أَعظَمُ مَا أَوصَى بِهِ المُوصُونَ، وَمَن مَاتَ عَلَى التَّوحِيدِ فَيُرجَى لَهُ مِنَ النَّجَاةِ مَا لَا يُرجَى لِغَيرِهِ.

وَلَـمَّا نَزَلَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ المَوتُ، كَانَ يُوصِي فِي آخِرِ حَيَاتِهِ: «أَلَا لَا تَتَّخِذُوا قَبرِي عِيدًا». وَكَانَ يَقُولُ: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَت أَيمَانُكُم».

لَم يُوصِ بِعِمَارَةِ البُيُوتِ وَلَا تَعمِيرِ الأَسوَاقِ، وَلَا بِكَثرَةِ التِّجَارَةِ، إِنَّمَا أَوصَى بِمَا يَحتَاجُهُ المُسلِمُ بَعدَ المَوتِ.

وَلَمَّا نَزَلَ بِأَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ المَوتُ، أَوصَى بِوَصِيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَمِنهَا قَالَ: إِنَّمَا ثَقُلَت مِن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ يَومَ القِيَامَةِ بِاتِّبَاعِ الحَقِّ.

وَلَـمَّا حَضَرَ المَوتُ عُمَرَو بنَ العاص رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَفضَلَ مَا نُعِدُّ لِلِقَاءِ الله شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله.

تَوحِيدٌ وَاتِّبَاعٌ، هَذَا أَفضَلُ مَا تُعِدُّ لِلِقَاءِ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

مَعَاشِرَ الْمُسلِمِينَ، حَتَّى وَلَو كَانَت نِيَّتُكَ التَّزَوُّدَ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَإِنَّ المَوتَ لَا يُعطِيكَ فُرصَةً أَكثَرَ مِمَّا يَمُدُّكَ بِهِ أَجَلُكَ. جَاءَ فِي الصَّحِيحَينِ مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا أَسرَفَ عَلَى نَفسِهِ فِي المَعَاصِي ثُمَّ تَابَ، فَأَوصَاهُ بَعضُ أَهلِ العِلمِ أَن يَرحَلَ مِن بَلَدِهِ الفَاسِدَةِ وَأَن يَنتَقِلَ إِلَى بَلَدٍ فِيهِ صَالِحُونَ يَتَعَبَّدُ وَيَتَعَلَّمُ مَعَهُم، فَمَشَى فَجَاءَهُ المَوتُ فِي نِصفِ الطَّرِيقِ. قَالَ الحَسَنُ: فَجَعَلَ يَزحَفُ بِصَدرِهِ لِيَصِلَ إِلَى القَريَةِ الَّتِي أَرَادَ وَلَو لِيَزدَادَ مِترًا مِنَ الأَرضِ. ولكن لم يعطه الموت فرصة.

مَعَاشِرَ الْمُسلِمِينَ، فَالمَوتُ لَا يُؤَجِّلُ الصَّالِحِينَ وَلَا مَن يُرِيدُ الصَّلَاحَ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَن يَعِيشُ فِي غَفلَةِ الدُّنيَا أَو فِي المَعَاصِي وَالذُّنُوبِ أَو يَنتَظِرُ أَن تُوَاتِيَهُ نَفسُهُ لِلصَّلَاحِ وَالصَّلَاةِ وَالعِبَادَةِ أَو لِلتَّوبَةِ مِنَ البِدَعِ أَو مِنَ الشِّركِ.

فَيَجِبُ عَلَينَا مَعَاشِرَ الْمُسلِمِينَ أَن نَستَعِدَّ لِلمَوتِ، لَا يَقُولُ الشَّابُّ مَا زِلتُ شَابًّا، فَكَم مِن صَغِيرٍ قَد دُفِنَت. وَهَكَذَا الكَبِيرُ، فَإِنَّ المَوتَ لَا يُمهِلُ شَابًّا وَلَا كَبِيرًا. وَلَا يَقُل طَالِبُ العِلمِ: أَمَّا أَنَا فَإِنَّ المَوتَ يَستَحِيي مِنِّي، فَإِنَّ المَوتَ لَا يَستَحِيي مِن أَحَدٍ، فَإِنَّهُ مَأمُورٌ بِأَمرِ اللهِ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

فَالمَوتُ لَا يَعرِفُ صَلَاحًا وَلَا فَسَادًا، إِنَّمَا يَأتِي فِي أَجَلٍ مُبَاغِتٍ، فَاستَعِدَّ أَيُّهَا الْمُسلِمُ، استَعِدَّ فَإِنَّكَ إِنِ استَعَدَّتَ جَاءَكَ عَلَى استِعدَادٍ.

وَلِنَختِمَ بِهَذَا الحَدِيثِ العَظِيمِ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «يَمُوتُ المُؤمِنُ بِعَرَقِ الجَبِينِ» أَي: مِن شِدَّةِ الحَيَاءِ مِنَ اللهِ سُبحَانَهُ، يَعرَقُ وَيَشتَدُّ عَرَقُهُ؛ لِمَا حَصَلَ مِن تَقصِيرٍ وَلِمَا حَصَلَ مِن تَفرِيطٍ وَلِذَنبٍ وَقَعَ، يَستَحِي مِن لِقَاءِ اللهِ تعالى أَن يَلقَاهُ بِالتَّقصِيرِ وَبِالذُّنُوبِ فَيَعرَقُ عَرَقًا شَدِيدًا، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيرِ المُؤمِنِ؟ بِأَيِّ وَجهٍ يَلقَى اللهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؟، أَسأَلُ اللهَ بِمَنِّهِ وَجَلَالِهِ وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ أَن يَرحَمَنَا قَبلَ المَوتِ وَعِندَ المَوتِ وَبَعدَ المَوتِ.

والحمد لله تعالى.



(٢٩)

* المولد بين السياسة والدين[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

مَعَاشِرَ الْمُسلِمِينَ، إِنَّ دِينَ الإِسلَامِ دِينٌ عَظِيمٌ جَاءَ بِمَصَالِحِ الدُّنيَا وَالدِّينِ وَالآخِرَةِ. وَإِنَّ مِن أَخطَرِ مَا يَكُونُ عَلَى الإِسلَامِ وَالْمُسلِمِينَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ: الشِّركُ وَالبِدَعُ وَإِعلَانُ المَعَاصِي. ثَلَاثُ آفَاتٍ، متى ابتُلِيَت بِهَا الأُمَّةُ، ضَاعَ دِينُهَا وَضَعُفَت عَقِيدَتُهَا وَتَفَكَّكَ الْمُجتَمَعُ وَصَارَ لُعبَةً فِي يَدِ أَعدَاءِ الإِسلَامِ، إلا من رحم ربك سبحانه.

وَالبِدَعُ سُمٌّ قَتَّالٌ وَدَاءٌ عُضَالٌ كَمَا وَصَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بقوله: (وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ) أَي: كَدَاءِ الكَلَبِ الَّذِي يَجرِي فِي جَمِيعِ أَجزَاءِ

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ الهجرية، عدن.

الجَسَدِ؛ فَلَا يَكَادُ المَرِيضُ يَرَى بعدَهُ عَافِيَةً.

فَإِن قُلتَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى خَطَرِ البِدَعِ؟

فَالجَوَابُ مَا في حديث جابر عند النسائي عن النبي ﷺ: « وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَجتَمِعُ السُّنَّةُ وَالبِدعَةُ أَبَدًا. إِذَا حَلَّتِ البِدَعُ رَحَلَتِ السُّنَّةُ، وَإِذَا حَلَّ أَهلُ البَاطِلِ غَابَ أَهلُ الحَقِّ، فَقَبُولُ البِدَعِ إِيذَانٌ بِخَرَابِ الدِّينِ وَالدُّنيَا مَعًا.

مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ، وَمِنَ البِدَعِ الَّتِي أَحدَثَهَا النَّاسُ بِدعَةُ المَولِدِ، وَهُوَ مَا يُنسَبُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ زُورًا وَبُهتَانًا.

فَإِن قُلتَ: مَن أَوَّلُ مَن أَحدَثَ بِدعَةَ المَولِدِ؟ فَالجَوَابُ: أَحدَثَهُ نَفَرٌ مِنَ المَلَاحِدَةِ فِي الدَّولَةِ الفَاطِمِيَّةِ، الَّتِي هِيَ أَكفَرُ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى. دَولَةٌ لَا تُؤمِنُ بِالله تعالى وَلَا بِرَسُولِ الله ﷺ وَلَا بِالإِسلَامِ وَلَا بِأَيِّ دِينٍ، فَهُم فِي الظَّاهِرُ شِيعَةٌ وَفِي البَاطِنُ مَلَاحِدَةٌ، أَحَلُّوا كَثِيرًا مِنَ المُحَرَّمَاتِ كَمَا هُوَ مَبسُوطٌ فِي مَقَامٍ آخَرَ.

هَذِهِ الدَّولَةُ شَرَعُوا بِدَعًا كَثِيرَةً: بِدعَةَ المَولِدِ، وَبِدعَةَ الِاحتِفَالِ بِلَيلَةِ الصِّيَامِ، وَبِدعَةَ الِاحتِفَالِ بِمَولِدِ الحُسَينِ، وَبِدعَةَ الِاحتِفَالِ بِمَولِدِ الحَاكِمِ الفَاطِمِيِّ،

وَأَيضًا كَانُوا يَحتَفِلُونَ بِعِيدِ الفِصحِ وَبِعِيدِ الغُطوسِ وَبِأَعيَادٍ أُخرَى مِن أَعيَادِ النَّصَارَى. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ شَرَعُوا المَولِدَ وَنَسَبُوهُ إِلَى الإِسلَامِ.

فَإِن قُلتَ: فَهَل هُنَاكَ مِن أَعدَاءِ الإِسلَامِ مَن يَقُولُ وَيَسعَى كَمَا يَفعَلُ الفَاطِمِيُّونَ؟

فَالجَوَابُ: أَعدَاءُ الإِسلَامِ يُرَوِّجُونَ لِلبِدَعِ. لَـمَّا دَخَلَ الِاستِعمَارُ إِلَى بِلَادِ المُسلِمِينَ، أَتَى إِلَى بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحتَفِلُونَ بِالمَولِدِ، فَجَعَلَهُم عَلَى أَوقَافِ المُسلِمِينَ، وَجَعَلَهُم أَئِمَّةَ المَسَاجِدِ، وَجَعَلَهُم أَهلَ الفَتوَى، وَدَعَمَهُم بِالمَالِ مِن أَجلِ أَن يَحتَفِلُوا بِالمَولِدِ.

لَـمَّا غَزَانَا نَابَلِيُونُ مِصرَ، أَتَى إِلَى الصُّوفِيَّةِ وَقَالَ: لِمَاذَا لَا تَحتَفِلُونَ بِالمَولِدِ كَالعَادَةِ؟ قَالُوا: قِلَّةُ المَالِ وَالخَوفُ - خَافُوا مِنَ الِاستِعمَارِ - فَدَعَمَهُم بِالمَالِ وَضُرِبَتِ الطُّبُولُ وَضَرَبَ الفَرَنسِيُّونَ بِالمَدَافِعِ احتِفَالًا مَعَ الصُّوفِيَّةِ بِالمَولِدِ.

وَهَل تَظُنُّ أَنَّ أَعدَاءَ الإِسلَامِ يُرِيدُونَ بِنَا خَيرًا؟

فَإِن قُلتَ: فَلِمَاذَا يَحتَفِلُ أَعدَاءُ الإِسلَامِ مِنَ الفَاطِمِيِّينَ وَغَيرِهِم بِالمَولِدِ النَّبَوِيِّ؟

فَالجَوَابُ: هَذِهِ سِيَاسَةٌ لِإِلهَاءِ الشُّعُوبِ وَإِخرَاجِهِم بِاسمِ الدِّينِ عَنِ التَّمَسُّكِ بِالدِّينِ؛ لِأَنَّ الأُمَّةَ قُوَّتُهَا فِي دِينِهَا، فَإِذَا انشَغَلَت بِالبِدَعِ وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ مِنَ المَلَاهِي ضَعُفَ دِينُهَا، وَسَهُلَ استِعمَارُهَا وَقِيَادَتُهَا إِلَى أَيِّ جِهَةٍ كَانَت.

فَإِن قُلتَ: فَهَؤُلَاءِ الرَّافِضَةُ الحُوثِيَةُ أَيضًا يَحتَفِلُونَ بِالمَولِدِ؟ فَالجَوَابُ: هُم يَحتَفِلُونَ بِالمَولِدِ لِثَلَاثَةِ أَغرَاضٍ:

الأَوَّلُ: أَن يجتمِعَ النَّاسَ حَولَـهُم ويُظهِرُون حِزبَهم بمظْهَرِ الكثرَةِ.

الأَمرُ الثَّانِي: اِستِنزَافُ وَاستِخرَاجُ الأَموَالِ مِنَ النَّاسِ بِاسمِ المَولِدِ.

الأَمرُ الثَّالِثُ: هُوَ حَشدُ النَّاسِ لِلجَيشِ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ المُسلِمِينَ.

فَإِن قُلتَ: اذكُر بَعضَ مَفَاسِدِ وَبِدَعِ المَولِدِ؟

الجواب: مِنهَا: الِاختِلَاطُ، يَجتَمِعُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ إِلَى عَهدٍ قَرِيبٍ، لَولَا انتِشَارُ السُّنَّةِ لَكَانَ هَذَا مَوجُودًا إِلَى يَومِنَا. وَمِنهَا: الرَّقصُ فِي المَسَاجِدِ.

وَمِنهَا أَيضًا: الأَنَاشِيدُ المُبتَدَعَةُ بِاسمِ الدِّينِ.

وَمِنهَا أَيضًا: الشركُ بدعاءِ غَيرَ الله تعالى...

فَإِن قُلتَ: فَمَتَى وُلِدَ رَسُولُ الله ﷺ؟

فَالجَوَابُ: قِيلَ فِي رَجَبٍ، وَقِيلَ فِي رَمَضَانَ، وَقِيلَ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ وهو أقربُ، ثم قِيلَ: فِي التاسعِ مِن رَبِيعٍ وعَلَيهِ الكثيرُ، وَقِيلَ فِي العَاشِرِ، وَقِيلَ فِي الثَّانِي عَشَرَ وهو المشهورُ. وثَبَتَ عَنهُ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ صَومِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟ قَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ». ولا يتعلقُ بذلكَ حكمٌ إلا بدليلٍ صحيح.

والحمد لله تعالى

****

(الخطبة الثانية)

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ الكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ، أَمَّا بَعدُ: مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ!

إِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحتَفِلُونَ بِالمَولِدِ: لِمَاذَا تَحتَفِلُونَ بِالمَولِدِ؟ مَعَ تَسلِيمِنَا أَنَّهُم أَهلُ ضَلَالٍ، وَلَكِن نَسمَعُ إِلَى بَعضِ الشُّبَهِ الَّتِي يُورِدُونَهَا.

يَقُولُونَ: نَحتَفِلُ حُبًّا فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. وَالجَوَابُ: كَانَ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ أَشَدَّ حُبًّا لَهُ، وَأَعظَمَ طَاعَةً وَانقِيَادًا، وَهَكَذَا التَّابِعُونَ، وَهَكَذَا أَهلُ الحَدِيثِ عَلَى مَرِّ الأَزمَانِ، فَلَم يَحتَفِل أَحَدٌ مِنهُم بِمَولِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولو كانَ خيرًا لسبَقُوا إليهِ.

وَيَقُولُونَ أَيضًا: هِيَ بِدعَةٌ حَسَنَةٌ. نَعتَرِفُ أَنَّهَا بِدعَةٌ لَكِنَّهَا بِدعَةٌ حَسَنَةٌ.

والجواب: يُسَمُّونَهَا حَسَنَةً وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهَا ضَلَالَةً: «وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ». فَهَل نَأخُذُ بِقَولِ هَؤُلَاءِ أَو نَأخُذُ بِقَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

فَالْبِدَعُ كُلُّهَا ضَلَالٌ، وبَعضُهَا أَضَلُّ مِن بَعضٍ.

وَيَقُولُونَ: قَد أَجَازَهُ بَعضُ العُلَمَاءِ. وَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا لَم يَكُن مَوجُودًا فِي عَهدِ النَّبِيِّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَم يَقُل بِهِ الصَّحَابَةُ وَلَا التَّابِعُونَ وَلَا أَتبَاعُهُم وَلَا عُلَمَاءُ الإِسلَامِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ، وَإِنَّمَا قَالَهُ مَن تَأَثَّرَ بِالبَاطِنِيَّةِ الفَاطِمِيَّةِ مِن أَوَاخِرِ القَرنِ الرَّابِعِ وَالخَامِسِ وَمَن بَعدَهُم مِن أَهلِ البِدَعِ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا هُوَ ذِكرٌ لله.

وَالجَوَابُ: أَنَّ ذِكرَ الله عَزَّ وَجَلَّ يَجِبُ أَن يُقَيَّدَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبِالهَدي النَّبَوِيِّ، وَإِلَّا كَانَ مُحدَثًا وَبِدعَةَ ضَلَالَةٍ، فَلَيسَ لِأَحَدٍ أَن يَذكُرَ اللهَ تعالى كَمَا يَحلُو لَهُ، بَل يَجِبُ أَن يَتَقَيَّدَ بِمَا يُرضِي اللهَ تعالى بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ الله سبحانه وَسُنَّةِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ».

وَيَقُولُونَ: نَحنُ نَحتَفِلُ لِأَنَّ الرَّسُولَ يَحضُرُ فِي المَولِدِ.

والجواب: وَهَذَا كَذِبٌ مُبِينٌ وَافتِرَاءٌ عَظِيمٌ. إِنَّ مَن مَاتَ لَا يَرجِعُ إِلَى الدُّنيَا أَبَدًا، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾

ويقولُون: نَفرَحُ بيومِ مَولِدِه.

وَالجَوَابُ: أَنَّ الفَرَحَ المُخَالِفَ لِلإِسلَامِ وَالسُّنَّةِ فَرَحٌ مَذمُومٌ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا هُوَ مُؤتَمَرٌ كَسَائِرِ المُؤتَمَرَاتِ أَوِ المُحَاضَرَاتِ.

وَالجَوَابُ: أَنَّ مَا أُحدِثَ فِي الدِّينِ بِاسمِ المَولِدِ أَو بِاسمِ مُؤتَمَرٍ أَو بِأَيِّ اسمٍ آخَرَ، فَإِنَّهُ مَردُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ، كَمَا قَالَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ».

وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا يَكرَهُ المَولِدَ مَن يَكرَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

والجواب: هَذَا بَاطِلٌ، ومُنكَرٌ مَفْضوحٌ، والمُشَاهَدُ فِي الوَاقِعِ أَنَّ الَّذِينَ يَحتَفِلُونَ بِالمَولِدِ هُمُ الَّذِينَ يُبغِضُونَ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ، وَلَا يُحِبُّونَ العَمَلَ بِهَا.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَكرَهُونَ المَولِدَ، إِنَّمَا كَرِهُوهُ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِهَديِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَمَن كَانَ يُحِبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلْيُحِبَّهُ بِأَدِلَّةٍ صَرِيحَةٍ وَاضِحَةٍ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. ادَّعَى أَقوَامٌ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللهِ لَكِنَّ أَعمَالَهُم تُخَالِفُ، فَظَهَرَ بِهَذَا كَذِبُهُم بَعدَ امتِحَانِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا لَهُم بِهَذِهِ الآيَةِ وَبِأَمثَالِ هَذِهِ الآيَةِ. وَاللهُ المَوعِدُ.

وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ.

****

(٣٠)

* إمكان الجمع بين التجارة والعلم[(١)] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسلِمِينَ، إِنَّ دِينَ الإِسلَامِ دِينٌ كَامِلٌ، جَاءَ بِالخَيرِ كُلِّهِ فِي العَقَائِدِ وَالعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]. دِينُ الإِسلَامِ دِينُ المَحَاسِنِ وَالفَضَائِلِ وَالمَزَايَا، جَاءَ بِكُلِّ مَا يَنفَعُ وَنَهَى عَن كُلِّ مَا يَضُرُّ.

جَاءَ عِندَ أَحمَدَ مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بُعِثتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمحَةِ». فَالإِسلَامُ سَمْحٌ فِي أَوَامِرِهِ، لَا تَنَاقُضَ فِيهَا وَلَا تَضَادَّ، أَمَرَ بِالإِقبَالِ عَلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَبِالإِقبَالِ عَلَى العِلمِ وَالعَمَلِ والعِبادَةِ.

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ الهجرية، عدن.

وأَبَاحَ مِنَ الأَعمَالِ مَا يَحتَاجُهُ النَّاسُ، اِعمَل فِيهَا شِئتَ منَ الحَلَالِ؛ وَلَكِن لِيَكُن هَمُّكَ أَلَّا تُقَصِّرَ فِي دِينِك، فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا قَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾، أي: لتنتفعوا به.

فَالأَصلُ فِي الأَعمَالِ وَالمَأكُولَاتِ وَالمَلبُوسَاتِ الإِبَاحَةُ، وَلَا يَحْـرُمُ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ الدَّلِيلُ مِن الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

فقد وَسَّعَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى النَّاسِ فِي الأَرزَاقِ، وَأَمَرَهُم أَلَّا تَشغَلَهُم هَذِهِ الأَرزَاقُ عَنِ العِلمِ وَالعِبَادَةِ.

بَعضُ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ الجَمعَ بَينَ العِلمِ وَالعَمَلِ وَالعِبَادَةِ، أَو بَينَ التِّجَارَةِ وَالعِلمِ، أَو بَينَ التِّجَارَةِ وَالزُّهدِ، وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَعمَالِ يَظُنُّهُ صَعبًا، ولَيْسَ كذلِكَ.

فالإسلَامُ جاءَ بالتوسِيعِ على الناسِ في الدُّنيا الحَلالِ، ومعَ ذلكَ أمرَهُم ألا تشْغَلُهم هذهِ الأعمَالُ عنِ الآخرةِ، ولا عنِ العِلْمِ والعِبادَة.

مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ، وُجِدَ مِنَ الأَنبِيَاءِ التُّجَّارُ، وَوُجِدَ مِنهُم مَن يَعمَلُ فِي النِّجَارَةِ، وَمَن يَعمَلُ فِي الزِّرَاعَةِ. وَمَعَ ذَلِك جَمَعُوا بَينَ هَذَا وَبَينَ الدَّعوَةِ إِلَى الله جَلَّ وَعَلَا، وَبَينَ التَّعلِيمِ وَبَينَ العِبَادَةِ.

جَاءَ فِي الصَّحِيحِ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَا نَجَّارًا». كَانَ نَجَّارًا وَكَانَ نَبِيًّا دَاعِيًا إِلَى اللهِ تعالى، وكانَ داودُ عليه السلامُ مَلِكًا، وَكَانَ عَابِدًا زَاهِدًا، كَانَ يَصُومُ يومًا وَيُفطِرُ يومًا، وَكَانَ يَقُومُ فِي اللَّيلِ ثُلُثَ اللَّيلِ يَتَعَبَّدُ للهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَلَم تَحُلْ أعمَالُهُ بَينَهُ وَبَينَ الدَّعوَةِ أَوِ العِبَادَةِ كَمَا يَظُنُّهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا.

وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الأَنبِيَاءِ، كَانَت لَـهُم أَعمَالٌ وَكَانُوا دُعَاةً إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَالصَّحَابَةُ كَانُوا أَهلَ تِجَارَةٍ وَزِرَاعَةٍ وَمَاشِيَةٍ، وكانَوا أهلَ عِلْمٍ وعِبادةٍ وجِهاد.

فَهَذَا أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كَانَ يَعمَلُ فِي التِّجَارَةِ وَهُوَ الصِّدِّيقُ الَّذِي بَذَلَ أَكثَرَ وَقتِهِ فِي نُصرَةِ الإِسلَامِ، فَلَم تَحُل هَذِهِ النُّصرَةُ وَالبَذلُ بَينَهُ وَبَينَ التِّجَارَةِ.

وَهَكَذَا عُمَرُ. وَهَكَذَا عُثمَانُ، كَانَ أَغنى الصَّحَابَةِ مَالًا وَكَانَ عَابِدًا، رُبَّمَا قَرَأَ القُرآنَ فِي رَكعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الصِّيَامِ، وَكَانَ أَيضًا مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ يَجلِسُ لِلنَّاسِ يَتَفَرَّغُ لَهُم يُعَلِّمُهُمُ القُرآنَ الكَرِيمَ، فَتِجَارَتُهُ لَم تَحُلْ بَينَهُ وَبَينَ العِبَادَةِ أَوِ العِلمِ أَوِ التَّعلِيمِ، بَل كَانَ خَلِيفَةً وَكَانَ إِمَامًا لِلنَّاسِ، وَتَاجِرًا وَإِمَامًا لِلنَّاسِ.

وَهَكَذَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَيضًا كَانَ تَاجِرًا. وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ مِنَ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ كَانَ تَاجِرًا ذَا تِجَارَةٍ وَاسِعَةٍ، وَكَانَ عَالِمًا ذَا عِلمٍ وَاسِعٍ.

وَهَكَذَا فِي التَّابِعِينَ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ مُحَمَّدُ بنُ سِيرِينَ، عَالِمُ التَّابِعِينَ التَّقِيُّ الوَرِعُ، كَانَ مِن كِبَارِ التُّجَّارِ حَتَّى ذُكِرَ فِي تَرجَمَتِهِ أَنَّهُ اشتَرَى مَرَّةً زَيتًا بِستِّينَ أَلفَ دِرهَمٍ. فَكَانُوا يُتَاجِرُونَ وَيَعبُدُونَ اللهَ تعالى، يُصَلُّونَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ وَيَجلِسُونَ فِي حَلَقَاتِ العِلمِ.

وَمِن أَتبَاعِ التَّابِعِينَ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ أَيضًا عَبدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ، العَالِمُ المُجَاهِدُ التَّاجِرُ العَابِدُ الذِي جَمَعَ خِصالًا كَثِيرةً فِي الخَيرِ، وكَان يَتَّجِرُ مِنْ خُرَسانَ إلى العِراقِ والشَّامِ، يَبِيعُ وَيَشتَرِي ثُمَّ يَجلِسُ لِلطَّلَبَةِ فَيُحَدِّثُهُم أَحَادِيثَ ﷺ، وَوَقتًا يَجلِسُ يُؤَلِّفُ الكُتُبَ. وفِي عَصرِنا أمثِلَةٌ كَثيرة.

لَيسَ هُنَاكَ مَا يَحُولُ بَينَكَ وَبَينَ عِبَادَةِ اللهِ تعالى، لَا تِجَارَةٌ وَلَا زِرَاعَةٌ وَلَا صِنَاعَةٌ وَلَا خِلَافَةٌ وَلَا مَسؤُولِيَّةٌ، إِنَّمَا هِيَ النِّيَّاتُ وَالصِّدقُ مَعَ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

أَقُولُ مَا سَمِعتُم وَأَستَغفِرُ اللهَ العظيمَ.



(الخطبة الثانية)

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ الكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ، أَمَّا بَعدُ:

مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ، إِنَّ مَالًا وَتِجَارَةً وَزِرَاعَةً وَمَاشِيَةً تَشغَلُكَ عَنِ العِلمِ، عَنِ العِبَادَةِ، عَنِ الصَّلَاةِ، طَرِيقُكَ إِلَى الخَسَارَةِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

خَسَارَةٌ أَن تَفتَحَ دُكَّانَكَ وَقَد حَانَتِ الصَّلَاةُ. خَسَارَةٌ أَن تَفتَحَ دُكَّانَكَ وَقَد حَانَ دَرسٌ عِلمِيٌّ تَحتَاجُ إِلَيهِ. خَسَارَةٌ أَنْ تَشغَلَكَ الدُّنيَا عَنِ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

إِنَّهَا فِتنَةٌ، إِنَّهَا عَذَابٌ. دُنيَا تَشغَلُ عَنِ اللهِ تعالى لَيْسَت خَيرًا، إِنَّمَا هِيَ عَذَابٌ وفِتنَةٌ.

وَقَد جَاءَ فِي الطَّبَرَانِيِّ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا».

عذابٌ لأنهُ مَالٌ يُكتَسَبُ مِن حَرَامٍ، مَالٌ يَكتَسِبُهُ صَاحِبُهُ وَقتَ الصَّلَاةِ، مَالٌ يَشغَلُ عَنِ العِلمِ فَلَا يُحسِنُ تِلَاوَةَ القُرآنِ فَضلًا عَن بَقِيَّةِ العِلمِ...

هَذَا المَالُ عَذَابٌ وفِتنَةٌ. ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]. قال ﷺ:(لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتنَةٌ وَفِتنَةُ أُمَّتِي المَالُ).

مَا الَّذِي يَحُولُ بَينَكَ وَبَينَ الله تعالى؟ إِنَّمَا هِيَ وَسَاوِسُ الشَّيطَانِ، وَإِلَّا فَتَستَطِيعُ أَن تَعْملَ فِي التِّجَارَةِ وَتجعَلَ وَقتًا لِلعِبَادَةِ، وَوَقتًا لِلعِلمِ، وَهَكَذَا سَائِرَ الأَعمَالِ.

بَعضُ النَّاسِ إِذَا وَجدَ الفَرَاغَ يَجلِسُ فِي الشَّارِعِ يَتَحَدَّثُ مَعَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، أَو يَلعَبُ الأَلعَابَ السَّيِّئَةَ وَالمُحَرَّمَةَ، أَو حَتَّى المُبَاحَةَ يُشغَلُ الوَقتُ، وَلَيسَ عِندَهُ رَغبَةٌ أَن يَنشَغِلَ بِكِتَابِ الله الكَرِيمِ، أَو بِدَرسٍ عِلمِيٍّ أَو بِصَلَاةٍ أَو بِصِيَامٍ وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ.

لِمَاذا يَفْتَحُ بعضُ الناسِ تجارتَهُ وقتَ الصلاةِ؟ أو زِرَعَتَهُ؟

أَيظُنُّ أَنَّ الفَقرَ سَيَحِلُّ عَلَيهِ؟ سُبحَانَ الله. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ ما الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»، هَلَاكُكَ أَن يَأتِيَ وَقتُ العِبَادَةِ وَأَنتَ مَشغُولٌ بِالدُّنيَا.

وَحَتَّى الجُمُعَةُ سَاعَةٌ فِي الأُسبُوعِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَأَخَّرُ عَنهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، مَشغُولٌ بِالدُّنيَا، مَشغُولٌ بِالنَّومِ، مَشغُولٌ بِاللَّعبِ، وَيَتَأَخَّرُونَ عَن عِبَادَةِ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

اسمَع إِلَى هَذَا الحَدِيثِ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِيمن يَتأخرُ عن الصفِّ الأولِ:

«لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ»، [رواه مسلم].

فَمَا ظَنُّكَ بِمَن يَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ، يَأتِي فِي الرَّكعَةِ الثَّانِيَةِ، فِي الرَّكعَةِ الثَّالِثَةِ، يُصَلِّي فِي الصَّفِّ المُتأَخِرِ، لَيسَ لِعَمَلٍ اضطِرَارِي؛ لَكِن أَصبَحَت عَادَةً يَسِيرُ عَلَيهَا...

هَذَا رَجُلٌ تَعِسٌ. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبدُ الدِّرهَمِ، تَعِسَ وَانتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انتقَشَ» [رواه البخاري].

وَنَختِمُ بِأَثَرِ الزُّهرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: (الِاعتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالعِلمُ يُقبَضُ سَرِيعًا، فَنَعشَ العِلمُ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنيَا، وَذَهَابُ العُلَمَاءِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ).

كُنَّا نُصَدِّرُ التَّطَوُّرَ إِلَى أُورُوبَّا يومَ أَنْ كُنَّا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِنَا، وَاليَومَ أَصبَحنَا نَستَورِدُ مِنَ الكُفَّارِ حَتَّى البَسبَاسَ وَحَتَّى التُّفَّاحَ!!

فَإِذَا جَمَعنَا بَينَ الدِّينِ وَالدُّنيَا فُزْنَا، وَإِذَا جَلَسْنَا نَجرِي بَعدَ الدُّنيَا هَلَكنَا.

أَعَاذَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِنَ الهَلَاكِ.

وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ.

****

(٣١)

* أهمية اللغة العربية[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، نَحمَدُهُ تَعَالَى حَمدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ، أَمَّا بَعدُ:

مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ، إِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥]. اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَ المُسلِمَ بِالعِلمِ وَالإِقبَالِ عَلَى مَا يُعِينُهُ عَلَى فَهمِ دِينِهِ. فَالعِلمُ شَرِيفٌ وَلَا يَنَالُهُ إِلَّا الشُّرَفَاءُ، وَالعِلمُ عَظِيمٌ وَلَا يَطلُبُهُ إِلَّا العُظَمَاءُ، وَالعِلمُ مُبَارَكٌ أَينَمَا حَلَّ، وَمَزَايَا العِلمِ كَثِيرَةٌ، وَفَضَائِلُهُ وَفِيرَةٌ، وَرِفعَةُ أَهلِهِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ ظَاهِرَةٌ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ هجرية، عدن.

العِلمُ الَّذِي يَرفَعُ هُوَ العِلمُ المُحَاطُ بِالعَمَلِ، العِلمُ الـمُكتَسِي بِالعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالاِتِّبَاعِ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

وَمن أَفضَلِ العُلُومِ عِلمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَإِنَّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ هِيَ لُغَةُ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَهِيَ لُغَةُ خَاتَمِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ والتَّسلِيم. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. فَاللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ بِهَا نَعقِلُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَنَفهَمُ مَقَاصِدَ الشَّرِيعَةِ، وَأَحكَامَ الإِسلَامِ العظيم.

وَلِذَلِكَ كَانَ القُرآنُ عَرَبِيًّا.

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾. مُبِينٌ، أَي: وَاضِحٌ. وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

فَاللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ هِيَ لُغَةُ الإِسلَامِ، وَهِيَ لُغَةُ المُسلِمِينَ، وَوَاجِبٌ عَلَى المُسلِمِينَ أَن يَتَعَلَّمُوهَا وُجُوبًا عَيْنِيًّا عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ أَينَمَا كَانُوا وَأَينَمَا حَلُّوا، فَإِنَّهُ بِلُغَةِ العَرَبِ يُفهَمُ الدِّينُ كما يَنبَغِي، وَإِلَّا فَإِنَّ المُسلِمَ رُبما يَبقَى جَاهِلًا بِدِينِهِ، وَرُبَّمَا يَجهَلُ التَّوحِيدَ وَالسُّنَّةَ.

وَلَا يَزَالُ المُسلِمُونَ يَحرِصُونَ عَلَى تَعَلُّمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.

فَبَينَمَا كَانَتِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ فَقَط لَا تَصِلُ إِلَى أَطرَافِ الجَزِيرَةِ، إِذ أَقبَلَ المُسلِمُونَ بَعدَ دُخُولِ الإِسلَامِ وَانتِشَارِهِ عَلَى تَعَلُّمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَأَقبَلَ أَهلُ الشَّامِ وَأَصبَحَت بِلَادُ الشَّامِ بِلَادًا عَرَبِيَّةً لُغَةً وَموطِنًا، وقد كَانَت أَعجَمِيَّةً.

وَهَكَذَا حِينَ دَخَلَ المُسلِمُونَ إِلَى مِصرَ تَعَلَّمَ المُسلِمُونَ العَرَبِيَّةَ وَأَصبَحَت إِحدَى الدُّوَلِ الَّتِي بَرَّزَت فِي فَهمِ وَتَعَلُّمِ وَتَعلِيمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.

اِنظُرُوا يَا مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ كَيفَ حَلَّ الإِسلَامُ فِي هَذِهِ البُلدَانِ وَحَلَّت مَعَهُ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ. فَلَمَّا انتَشَرَ الإِسلَامُ فِي أفرِيقِيَا: فِي لِيبِيَا وَالجَزَائِرِ وَالمَغرِبِ إِلَى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الدُّوَلِ، انتَشَرَ مَعَ الإِسلَامِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ، لِأَنَّ الإِسلَامَ وَاللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ قَرِينَانِ مُتَلَازِمَانِ، أَينَمَا وُجِدَ الإِسلَامُ وُجِدَتِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ؛ لِأَنَّ هَذَا أَمرٌ يَتَحَتَّمُ عَلَى المُسلِمِ لِيَفهَمَ دِينَهُ.

فَلَيسَ لِلمُسلِمِ لُغَةٌ إِلَّا اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، هِيَ لُغَةُ المُسلِمِ، هِيَ لُغَةُ الإِسلَامِ. سَوَاءٌ كَانَ فِي المَشرِقِ أَو فِي المَغرِبِ، كَانَ فِي بِلَادٍ عَرَبِيَّةٍ أَو غَيرِ عَرَبِيَّةٍ، فَلُغَتُهُ الرَّسمِيَّةُ هِيَ لُغَةُ العَرَبِ، هِيَ لُغَةُ دِينِهِ، لُغَةُ أَهلِ الإِسلَامِ، لُغَةُ القُرآنِ، بَل لُغَةُ أَهلِ الجَنَّةِ كَمَا يَقُولُ ذَلِكَ بَعضُ أَهلِ العِلمِ.

وفي تَعَلُّمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الأجرُ والثوابُ والحَسناتُ التي تُذْكَرُ في فضلِ العلم من الرِّفْعَةُ والأُجُورُ.

ومَن يُعَلِّمُ اللغةَ العربيةَ فَإِنَّهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ الجَارِيَةِ.

فكُلُّ مَا يُقَالُ فِي فَضلِ العِلمِ على العُمومِ تَدخُلُ فِيهِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ بِعُلُومِهَا.

أَقُولُ مَا سَمِعتُم وَأَستَغفِرُ اللهَ العظيم.

****

(الخطبة الثانية)

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ الكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ، أَمَّا بَعدُ:

مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ، إِنَّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ لَهَا مَزَايَا كَثِيرَةٌ.

وَمِن هَذِهِ المَزَايَا أَنَّهَا مِن أَقصَرُ اللُّغَاتِ حُرُوفًا فِي كَلِمَاتِهَا، فَتَجِدُ أَنَّ أَغلَبَ أَلفَاظِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ مِن ثَلَاثَةِ أَحرُفٍ أَو أَربَعَةٍ، وَلِذَلِكَ يَكُونُ تَعَلُّمُهَا سَهلًا.

وَمِن مَزَايَا اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَنَّهَا عَذْبَةُ الأَلفَاظِ، جَمِيلَةُ التَّرَاكِيبِ، تامَّةُ الجُمَلِ، ويَظهَرُ مِن حُسنِهَا وَرَونَقِهَا وَبَلَاغَةِ الكَلَامِ بِهَا شَيءٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّهَا لُغَةٌ جَمِيلَةٌ عَذْبَةٌ مُبَارَكَةٌ.

وَمِن مَزَايَا اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَنَّ الكَلِمَةَ الوَاحِدَةَ تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ عِدَّةٍ، وَأَنَّ المَعنَى الوَاحِدَ لَهُ كَلِمَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ تَدُلُّ عَلَيهِ، فَإِذَا أَعيَتِ الإِنسَانَ كَلِمَةٌ يُرِيدُ بِهَا مَعنًى اِنتَقَلَ إِلَى كَلِمَةٍ أُخرَى تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ المَعنَى.

وَمِن مَزَايَا اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَنَّهَا تَزِيدُ فِي الفَهمِ وَالعَقلِ وَالشَّجَاعَةِ وَالخُلُقِ، كَمَا قَالَ بَعضُ السَّلَفِ: "تَعَلَّمُوا العَرَبِيَّةَ فَإِنَّهَا تُثَبِّتُ العَقلَ وَتَزِيدُ فِي المُروءَةِ".

وَقد قَالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. فَفِيهَا زِيَادَةٌ فِي العَقلِ وَالفَهمِ، وَفِيهَا زِيَادَةٌ فِي الفَصَاحَةِ وَالبَيَانِ. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا» حُسنُ المَنطِقِ وَالكَلَامِ يَجذِبُ القُلُوبَ وَيَأخُذُ الأَلبَابَ.

كَذَلِكَ مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ يَجِبُ أنْ تعلَمُوا أنَّ أعداءَ الإسلامِ من مَشْرُوعِهِمُ الاستَعْماري طَمسُ اللغةَ العربيةَ، فما حَلُّوا في بلدٍ إلا شجَّعُوا اللغاتِ الدارجَةَ والعامِّيَةَ، وكمْ حَاوَلُوا أَلَّا تَكُونَ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ هِيَ اللُّغَةُ الرَّسمِيَّةُ، وَجَهِدُوا فِي ذَلِكَ وَاقتَنَعَ بِهِم كَثِيرٌ مِنَ المُسلِمِينَ الضُّعفاءِ بَعدَ انتِشَارِ العَولَمَةِ وَالعَلَمانِيَّةِ.

مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ، يَنبَغِي العِنَايَةُ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لَا سِيَّمَا لِلعَجَمِ. يَنبَغِي أَن يَتَعَلَّمُوا نُطقَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَمَخَارِجَ حُرُوفِهَا وَصِفَاتِهَا، وَأَن يَجتَهِدُوا فِي ذَلِكَ وَأَن يُعَلِّمُوا أَبنَاءَهُم كَذَلِكَ.

وَأَيضًا يَجتَهِدُوا فِي فِقهِ اللُّغَةِ أَي: فِي فَهمِ مَعنَاهَا عَبْرَ القَوَامِيسِ العَرَبِيَّةِ. بَل يَنبَغِي لِكُلِّ دَولَةٍ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا مُسلِمُونَ أَن يُنشِئُوا قَوَامِيسَ تَربِطُ بَينَ لُغَتِهِم وَاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ حَتَّى تَكُونَ سُلَّمًا لِلتَّعَلُّمِ لِهَذِهِ اللُّغَةِ العَظِيمَةِ.

وَيَجِبُ عَلَى حُكَّامِ المُسلِمِينَ وَوُزَرَاءِ التَّربِيَةِ وَالتَّعلِيمِ فِي بِلَادِ العَجَمِ أَن يَجعَلُوا لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةَ حِصَّةً مِنَ الحِصَصِ فِي المَدَارِسِ وَفِي الجَامِعَاتِ وَفِي المَعَاهِدِ.

أَصبَحَت لُغَاتُ العَجَمِ حِصَّةً رَسمِيَّةً فِي بِلَادِ العَرَبِ وَغَيرِ العَرَبِ، وَاللُّغَةُ الَّتِي هِيَ لُغَتُهُم لَيسَ لَهَا نَصِيبٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ إِلَّا أَن تُعَلَّمَ فِي المَسَاجِدِ.

وَيَنبَغِي عَلَى مُجَمَّعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَن يَزُورَ الرُّؤَسَاءَ وَالوُزَرَاءَ وَأَن يَحُثَّهُم عَلَى اِعتِمَادِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي مَعَاهِدِهِم وَمَدَارِسِهِم وَجَامِعَاتِهِم.

وَإِنَّ مِنَ الأَخبَارِ السَّارَّةِ فِي العَامِ المَاضِي أَنَّ دَولَةً أفريقية... اِعتَمَدَتِ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ كَلُغَةٍ رَسمِيَّةٍ ضِمنَ اللُّغَاتِ فِي بِلَادِهَا، وَهَذَا فَضلٌ وَنِعمَةٌ كَبِيرَةٌ.

وَلِلهِ تَعَالَى الحَمدُ وَالمِنَّةُ.



(٣٢)

* حرص الملائكة على المسلم [١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، خُطْبَتُنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ تَتَحَدَّثُ عَنْ حِرْصِ الـمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ.

وَالْمَلَائِكَةُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله تعالى، لَا يَعْصُونَ اللهَ تعالى مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

وَهَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِ، وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ، وَيُعِينُونَهُ عَلَى الخَيْرِ، وَيُبَشِّرُونَهُ، وَيَفْرَحُونَ بِدُخُولِهِ الجَنَّةَ، وكلُّ ذلِكَ بِتَسْخِيرِ الله تعالى.

ومن ذلكَ دعاؤُهُم لِلْمُسلم: قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ هجرية، المهرة.

وصلاةُ الله تعالى: ثناؤُهُ، وصلاةُ المَلَائِكَةِ: دُعَاؤُهُمْ، وَانْظُرْ إِلَى الْأَثَرِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَى ذَلِكَ وهو إِخْرَاجٌ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، لِأَنَّ دُعَاءَ المَلَائِكَةِ مُسْتَجَابٌ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ.

ومن ذلكَ دعاؤُهُم لِلْمُسلمِ حِينَ يُصَلِّي فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ لَا يَحْرِصُ عَلَيْهِ إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالِاحْتِسَابِ.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ».

اللهُ جلَّ جلالُهُ يُثْنِي عَلَى أَهْلِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالمَلَائِكَةُ تَدْعُو لَهُمْ.

ومن ذلكَ دعاؤُهُم لِلْمُسلمِ حِينَ يَجْلِسُ لِسَمَاعِ ذِكْرِ الله تعالى، أَوْ يَتْلُو كِتَابَ الله تعالى، أَوْ يَذْكُرُ اللهَ سبحانه، فَالمَلَائِكَةُ تَدْعُو لَهُ بِدَعَوَاتٍ عَظِيمَةٍ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَوَاتِ المُبَارَكَاتِ.

ومن ذلكَ دعاؤُهُم لِلْمُسلمِ حِينَ يَزُورُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ عِنْدَ مَرَضِهِ، وتَتَفقدُ أخبارَهُ وحاجتَهُ. قال ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا، إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا،

خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ».

هَذا الْعَدَدُ الْكَبِيرُ من المَلائِكَةِ الْكِرَامِ يَصْنَعُونَ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ لِعَمَلٍ يَسِيرٍ.

ومِن ذلكَ دعاؤُهُم لِلْمُسلمِ حِينَ يَدْعُو لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ قَلْبُهُ صَافِيًا فَإِنَّهُ يَدْعُو لِلْمُسْلِمِينَ بِالخَيْرِ.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ»، وَدَعْوَةُ المَلَكِ مُسْتَجَابَةٌ.

ومِن ذلكَ دعاؤُهُم لِلْمُسلمِ حِينَ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ لِيُكْثِرْ».

ومِن ذلكَ دعاؤُهُم لِلْمُسلمِ الحَرِيصِ عَلَى تَعْلِيمِ المُسْلِمِينَ، تَسْتَغْفِرُ لَهُ المَلَائِكَةُ طَوَالَ حَيَاتِهِ. فَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أن النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ».

وَلَوْ كَانَ التَّعْلِيمُ فِي الشَّارِعِ، تَمُرُّ عَلَى رَجُلٍ ثِيَابُهُ طَوِيلَةٌ فَتَنْهَاهُ، تَمُرُّ عَلَى رَجُلٍ فَاتِحٍ لِدُكَّانِهِ وَقْتَ الصَّلَاةِ فَتَأْمُرُهُ أَنْ يُغْلِقَ وَيَلْحَقَ بِالصَّلَاةِ.

وهكَذَا إِذَا عَلَّمْتَ فِي بَيْتِكَ، فِي مَسْجِدِكَ، فِي أَيِّ مَكَانٍ، المَلَائِكَةُ تَدْعُو لَكَ، بَلْ رَبُّ الْعِزَّةِ وَالجَلَالِ يُثْنِي عَلَيْكَ.

ومِن ذلكَ دعاؤُهم لِلْمُسلمِ الذِي يَتَطَهَّرُ قبلَ النومِ، وهو عَمِلٌ يَسِير، جَاءَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا، قَالَ المَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا »، وفي رواية: (لَا يَتَقَلَّبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ المَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ...) أي: أنهُ يَدعُو لهُ لَيلًا طَويلًا.

وَكَذَلِكَ تُصَلِّي المَلَائِكَةُ عَلَى المُتَسَحِّرِينَ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى المُتَسَحِّرِينَ» الذينَ يأكُلُون أكلَةَ السَّحَرِ، أي: مَن رَغِبَ في الصيامِ.

وأستغفر الله العظيم.


****

(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّا تَقُومُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ تُجَاهَ الْمُسْلِمِ: الدِّفَاعُ عَنْهُ وَحِفْظُهُ مِنْ نَوَائِبِ الدُّنْيَا وَمِنْ أَعْدَائِهِ بِأَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [الرعد: ١١]. أي: بأمر الله تعالى.

وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْمُسْلِمِ الَّذِي يُجَاهِدُ الْكُفَّارَ: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]. إِمْدَادٌ بِالْمَلَائِكَةِ تُقَاتِلُ فِي صَفِّ الْمُسْلِمِ.

وجَاءَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ أَبَا الْيَسَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَسَرَ الْعَبَّاسَ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ. فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ».

والمَلَائِكَةُ تَحْتَفُّ بِأَهْلِ الذِّكْرِ وَبِأَهْلِ الصَّلَاةِ.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

المَلَائِكَةُ إِذَا وَجَدَتْ قَوْمًا فِي حَلْقَةٍ يَذْكُرُونَ اللهَ وَيَتَعَلَّمُونَ تَلْتَفُّ مِنْ حَوْلِهِمْ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ حَتَّى يَبْلُغُوا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، احْتِفَاءً بِحَلْقَةِ الذِّكْرِ.

وجَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ». يَأْتُونَ يَنْظُرُونَ الْمُصَلِّينَ وَيَفْرَحُونَ بِهِمْ.

كَذَلِكَ المَلَائِكَةُ تُبَشِّرُ الْمُؤْمِنَ حِينَ مَوْتِهِ، وَتُفْرِحُهُ وَتُسْعِدُهُ بِالْأَخْبَارِ الجَمِيلَةِ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

وَلَفْظُ الْبِشَارَةِ قَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ وأبي هريرة رضي الله عنهما: « اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللهِ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ». فَمَا يَزَالُ يُكَرِّرُ هَذَا حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا مِنَ المَلَائِكَةِ.

وإِذَا أَقْبَلَ المُؤْمِنُ وَالمُسْلِمُ عَلَى الجَنَّةِ تَسْتَقْبِلُهُ المَلَائِكَةُ بِالْبِشَارَةِ وَالْفَرَحِ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ وَيُهَنِّئُونَهُم بِطِيبِ المَقَامِ فِي الجَنَّةِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

هَذِهِ مُعَامَلَةُ المَلَائِكَةِ لَكَ أَيُّهَا المُسْلِمُ، فَوَاجِبٌ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى المَلَائِكَةِ حَقَّهُمْ: بِحُبِّهِمْ، وَاحْتِرَامِهِمْ، وَالْإِيمَانِ بِهِمْ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَأَلَّا يُؤْذِيَهُمْ بِرَائِحَةٍ كَالثُّومِ فِي المَسْجِدِ، وَلَا بِقَوْلٍ، وَلَا يُظْهِرَ أَمَامَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالذُّنُوبِ مَا تَكْرَهُهُ. فالمَلَائِكَةُ تُرِيدُ لَكَ الخَيْرَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَلْقَاهُمْ بِالخَيْرِ.

وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٣٣)

* عبادة الكائنات [(١)] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. هَذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ فِي الْأَرْضِ يُعْتَبَرُ عَابِدًا للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِمَّا طَوْعًا وَإِمَّا كَرْهًا. وَحَتَّى الجَمَادَاتُ وَالنَّبَاتَاتُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ والنجومُ النَّيِراتُ، وَكُلُّ خَلْقِ اللهِ يَعْبُدُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا كَمَا يُرِيدُهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَهَذِهِ المَخْلُوقَاتُ لَهَا إِحْسَاسٌ وَإِرَادَةٌ وَمَحَبَّةٌ وَرَغْبَةٌ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهِيَ خَائِفَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ هجرية، المهرة.

وَاقْرَؤُوا قَوْلَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وَلَـمَّا ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا قَسْوَةَ قُلُوبِ بَعْضِ بَنِي آدَمَ وَأَنَّهَا أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ قَالَ فِي الْحِجَارَةِ: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. إِنْهَارَ الجَبَلِ خَوْفًا وَخَشْيَةً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالجَمَادَاتُ وكُلُّ مَا خَلَقَ اللهُ تعالى عندها اسْتِسْلَامٌ وَانْقِيَادٌ لِأَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا إِلَّا الشَّيَاطِينَ وَأَغْبِيَاءَ بَنِي آدَمَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ أَسْلَمَ أَيِ: اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ وَأَطَاعَ.

واسمعْ لانقيادِ السماءِ الأرضِ مع عَظَمتِها، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ قَالَتَا بِلِسَانِ المَقَالِ: أَتَيْنَا طَائِعِينَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَلَـمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْكَائِنَاتُ مُطِيعَةً للهِ تعالى، مُسْتَسْلِمَةً لِتَوْحِيدِهِ جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّهَا تَغْضَبُ وَتَكْرَهُ أَنْ يُوجَدَ الشِّرْكُ مِنْ أَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾

وَحتَّى الطَّيْرُ تكرَهُ الشركَ، ففِي قِصَّةِ سَبأٍ قَالَ اللهُ تعالى فِي الْهُدْهُدِ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَـهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَـهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٠-٢٧]. هَذَا طَيْرٌ يُنْكِرُ الشِّرْكَ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَلَالَةً عَلَى عُبُودِيَّتِهِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، وَتَوْحِيدِهِ وَكَرَاهِيَتِهِ لِلشِّرْكِ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا.

السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ يَكْرَهُ الْمُشْرِكِينَ والمَعاصي، جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «العَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ». يَسْتَرِيحُونَ مِنَ الْمُشْرِكِ ومِنَ الْعُصَاةِ لِمَا تَجُرُّهُ ذُنُوبُهُمْ عَلَى الْكَائِنَاتِ مِنْ وَيْلَاتٍ.

وَهَكَذَا أَيْضًا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ اللهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَـمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ) فِي الثالثة (فَعَلِمُوا: أَنَّهُ

لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ). عَلِمُوا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ بِيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالْأَرْضُ تَكْرَهُ أَنْ يُدْفَنَ فِي بَاطِنِهَا مُشْرِكٌ مُرْتَدٌّ، فهذِهِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وجَاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ». فَيَأْتِيهِ الْمُسْلِمُ فَيَقْتُلُهُ. تَتَعَاوَنُ الشَّجَرُ وَالحَجَرُ عَلَى الْمُشْرِكِ.

ومن غضَبِ الكائناتِ للهِ تعالى ما جاءَ عن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَدِمَ سَعْدُ بنُ أبي وقَّاصٍ مِنْ أَرْضٍ لَهُ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ أَوْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ، وَإِذَا هُوَ يَسُبُّ عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، فَنَهَاهُ فَكَأَنَّهُ أَغْرَاهُ بِهِمْ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ إِلَى سَبِّ أَقْوَامٍ خَيْرٌ مِنْكَ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَدْعُوَنَّ عَلَيْكَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيُخَوِّفُنِي كَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ يَسُبُّ أَقْوَامًا سَبَقَ لَهُمْ مِنْكَ خَيْرٌ، أَسْخَطَكَ بِسَبِّهِ إِيَّاهُمْ فَأَرِنِي بِهِ الْغَدَاةَ آيَةً تَجْعَلُهُ آيَةً لِلْعَالَمِينَ. قَالَ: فَخَرَجَ بُخْتِيَّةٌ – وهي الناقةُ الكبيرة – مِنْ دَارِ ابْنِ فُلَانٍ نَادَّةٌ لَا يَرُدُّ بَأْسَهَا شَيْءٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، فَجَعَلَتْهُ بَيْنَ قَوَائِمِهَا، فَوَطِئَتْهُ حَتَّى طَفِئَ، وَأَنَا رَأَيْتُ النَّاسَ يَتَّبِعُونَهُ يَقُولُونَ: اسْتَجَابَ اللهُ لَكَ أَبَا إِسْحَاقَ. وَهِيَ قِصَّةٌ صَحِيحَةٌ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، هَذِهِ الْكَائِنَاتُ تُصَلِّي للهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَسْجُدُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

وَهَكَذَا الْمَخْلُوقَاتُ تُسَبِّحُ للهِ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

نَحْنُ لَا نَفْقَهُ ذَلِكَ وَلَا نَفْهَمُ كَيْفَ تُسَبِّحُ، لَكِنْ نُؤْمِنُ بِهَذَا لِأَنَّهُ خَبَرُ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا.

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]. يَقُولُ عليهِ السلامُ: سُبْحَانَ اللهِ. فَتَرْتَجُّ الجِبَالُ بِالتَّسْبِيحِ مَعَهُ؛ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وتُسَبِّحُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الطَّيْرُ بِأَشْكَالِهَا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ يَعْلَمُ كَيْفَ يُصَلِّي وَكَيْفَ يُسَبِّحُ وَكَيْفَ يَسْجُدُ، وَلَكِنْ بِطَرِيقَةٍ شَاءَهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

وجَاءَ فِي الحديثِ الصَّحِيحِ عَنْ عمرو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا تَسْتَقِلُّ الشَّمْسُ فَيَبْقَى شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَّا سَبَّحَ اللهَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَأَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ)، وأَغْبِيَاءُ بَنِي آدَمَ: شِرَارُ خَلْقِ اللهِ تعالى.

وتأملْ في هذا الحديثِ قال ﷺ: (قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ).

متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ يحكي ما رأتْهُ عيناهُ: «انْطَلَقْتُ أَلْتَمِسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ حَوَائِطِ المَدِينَةِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ. وَحَصَيَاتٌ مَوْضُوعَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ فَأَخَذَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَسَكَتْنَ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَسَكَتْنَ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ رضي الله عنه فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَسَكَتْنَ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ رضي الله عنه فَسَبَّحْنَ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَسَكَتْ».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ». يَسْمَعُونَهُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ.

وَمَعْنَى سُبْحَانَ اللهِ: أُنَزِّهُ اللهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَأُثْبِتُ لَهُ الْكَمَالَ وَالجَلَالَ وَالْعَظَمَةَ.

فَهَذَا الشَّجَرُ وَهَذَا الحَجَرُ وَهَذَا الطَّعَامُ يُسَبِّحُ لله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، فَمَا بَالُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَأْبَى وتَتَمَرَّدَ عَلَى رَبِّكَ جَلَّ وَعَلَا بِالسُّجُودِ وَالصَّلَاةِ؟

أَلَمْ تَرْتَقِ حَتَّى تَكُونَ كَشَجَرَةٍ تَسْجُدُ لله تعالى طَوَاعِيَةً.

وَلَكِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَفْقَهُونَ تَوْحِيدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، شِرْكٌ عِنْدَ الْقُبُورِ، وَشِرْكٌ بِاسْمِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَشِرْكٌ بِاسْمِ الْعَلْمَانِيَّةِ وَالدِّيمقْرَاطِيَّةِ.

وَكُلَّ يَوْمٍ وَالْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ هَذَا يُحْدِثُ أَنْوَاعًا جَدِيدَةً مِنَ الشِّرْكِ بِالله، وَمِنْ أَنْوَاعِ المَلَاهِي والمَعاصي.

أَسْأَلُ اللهَ بِمَنِّهِ وَجَلَالِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ أَنْ يُصْلِحَنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٣٤)

* في أثر الأوزاعي[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، جَاءَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ الْإِمَامِ الْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (خَمْسٌ كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ: اتِّبَاعُ السُّنَّةِ، وَلُزُومُ الجَمَاعَةِ، وَعِمَارَةُ المَسَاجِدِ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ كَانَ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى دِينٍ قَوِيمٍ وَصِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبِيلًا، وَأَعْظَمُهَا فَهْمًا، وَأصلَحُها طَرِيقًا. فَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ فَمَنْ أَرَادَ الْـهِدَايَةَ إِلَى الصَّوَابِ وَالرَّشَادِ فَعَلَيْهِ بِطَرِيقِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ هجرية، تعز.

وَكَذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْـهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْـمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فَهُمُ المَعْنِيُّونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

فمَنْ كَانَ مُسْتَنِيًا فَلْيَسْتَنَّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: (لُزُومُ الجَمَاعَةِ) أَيْ جَمَاعَةِ الْأُمَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، فَإِنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ لَا تَكُونُ رَشِيدَةً قَوِيَّةً إِلَّا بِالاتِّبَاعِ وَالِانْضِمَامِ وَالِاجْتِمَاعِ مَعَ أُمَرَائِهَا وَوُلَاةِ أُمُورِهَا، وَمَعَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ الَّذِينَ يَحُثُّونَ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

هَذَا هُوَ طَرِيقُ الْأُمَّةِ الْوَحِيدُ، الذي مَتى خالَفَتْهُ ذَلَّتْ وضَعُفَتْ، وتشَتَّتْ وأضاعَتْ الدينَ والدنْيا معًا، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. طَاعَةُ الله تعالى وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ وَالِاجْتِمَاعُ عَلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ وَالْعُلَمَاءِ خَيْرٌ فِي الدُّنْيَا وَخَيْرٌ فِي الْآخِرَةِ.

بَلْ قَالَ ﷺ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»، القتْلُ! إِنَّهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَلَكِنْ مِنْ بَابِ دَرْءِ الْمَفْسَدَةِ الْعُظْمَى بِالْمَفْسَدَةِ الصُّغْرَى.

فَتَفْرِيقُ الْمُسْلِمِينَ وَتَشْتِيتُ أَمْرِهِمْ مَفْسَدَةٌ عُظْمَى، لَا تَسْتَطِيعُ الْأُمَّةُ أَنْ تُوَاجِهَ عَدُوَّهَا، وَلَا أَنْ تُقِيمَ دِينَهَا إِلَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَى وُلَاةِ أُمُورِهَا وَعُلَمَائِهَا.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ».

وَمَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ إِلَّا جَاءَ بِظُلْمٍ أَوْسَعَ مِمن قَبْلَهُ، وَمَنَافِعَ أَقَلَّ وَمَصَالِحَ أَوْهَى. هَذَا هُوَ حَالُ النَّاسِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا.

فَمَا جَاءَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ، وَلَكِنَّهَا أَنْقَصَتْ شَيْئًا كَثِيرًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، ثُمَّ جَاءَتِ الدُّوَيْلَاتُ بَعْدَ الْعَبَّاسِيَّةِ فَكَانَتْ شَرًّا وَأَسْوَأَ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِكَثِيرٍ، وَهَكَذَا حَالُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

الأمر الثاني: قَالَ: (واتِّبَاعُ السُّنَّةِ). اتِّبَاعُ السُّنَّةِ هُوَ سَبَبُ الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

لَا يَقْبَلُ اللهُ تعالى عَمَلَكَ وَلَا صَلَاتَكَ وَلَا صِيَامَكَ وَلَا حَجَّكَ وَجِهَادَكَ إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

هُنَاكَ مَنْ يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَحُجُّ وَيُنْفِقُ أكثرَ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ السُّنَّةَ.

الْعُبُودِيَّةُ لله جَلَّ وَعَلَا هِيَ اتِّبَاعٌ لِشَرْعِهِ، لَيْسَتْ اتِّبَاعًا لِـهَوَاكَ وَلَا لِمَزَاجِكَ وَلَا لِرَأْيِكَ وَلَا لِقَانُونٍ مُسْتَوْرَدٍ، وَلَكِنِ اتِّبَاعٌ لِأَمْرِ الله تعالى وَلِأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أَمَّا بَعْدُ:

فَالخصلَةُ الثَّالِثَةُ: (عِمَارَةُ المَسَاجِدِ). وَكَلِمَةُ (عِمَارَةٍ) تَعْنِي أَكْثَرَ مِنْ كَلِمَةِ صَلَاةٍ، فَإِنَّ عِمَارَةَ المَسَاجِدِ تَعْنِي: أَنْ تَبْقَى مَسَاجِدُ المُسْلِمِينَ حَيَّةً بِالمُصَلِّينَ وَالتَّالِينَ وَالمُتَعَلِّمِينَ، وَأَنْ تَبْقَى مَفْتُوحَةً لِلْعُبَّادِ وَالزُّهَّادِ. وَبِهَذَا تُعْمَرُ المَسَاجِدُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾[التوبة: ١٨]. ضُعَفَاءُ الْإِيمَانِ لَا يَجْلِسُونَ كَثِيرًا فِي المَسَاجِدِ، وَلَا يَتَرَدَّدُونَ عَلَى حَلَقَاتِ الذِّكْرِ، وَلَا يَتفَرَّغُونَ كَثِيرًا لِلْجُلُوسِ وَالِاعْتِكَافِ فِي المَسَاجِدِ، إِنَّمَا هُوَ شَأْنُ الْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ الَّذِي عَظُمَتْ رَغْبَتُهُ فِيمَا عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فَأَصْبَحَ المَسْجِدُ لهُ بَيْتًا، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ» وهوَ في صحيحِ الجامعِ.

وقَالَ ﷺ: فِيمَنْ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ».

يَنْبَغِي لَنَا مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ أَنْ نَعْمُرَ المَسَاجِدَ، فَإِنَّ عِمَارَةَ المَسَاجِدِ تَعْنِي عِمَارَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، تَعْنِي عِمَارَةَ الْأَخْلَاقِ، تَعْنِي عِمَارَةَ الحُكْمِ. فكُلُّ خَيْرٍ يَنْبُعُ مِنْ هَذِهِ المَسَاجِدِ.

كَانَ الْمَسْجِدُ زَمَنَ السَّلَفُ لَا يَخْلُو مِنْ عَابِدٍ أَوْ تَالٍ أَوْ قَارِئٍ أَوْ رَاكِعٍ أَوْ سَاجِدٍ طَوَالَ الْيَوْمِ، وَمَسَاجِدُنَا تُغْلَقُ إِلَّا فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهَذِهِ الْجُمُوعُ لَا تُرَى إِلَّا فِي الْجُمُعَةِ.

ضَاعَتْ عِمَارَةُ الْمَسَاجِدِ فَضَاعَتِ الْقُلُوبُ وَفَسَدَتْ، وضَعُفَ الدِّينُ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَالْأَعْدَاءِ؛ لِأَنَّهُمُ ابْتَعَدُوا عَنْ الْمَسَاجِدِ.

وَالخَصْلَةُ الرَّابعَةُ، قَالَ: (وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ)، يَعْنِي الْإِكْثَارَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَيْسَ أَنْ تَفْتَحَ الْمُصْحَفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي الْيَوْمِ نِصْفَ سَاعَةٍ، بلْ أن تَقْرَأَ الأَجْزاءَ تِلْوَ الأَجْزاءِ، وتنظرُ في التَفْسِيرِ ونحوِهِ، لِيُعْمَرْ كِتابُ الله تعالى بالتلاوةِ والتَّعَلُّمِ والتَعليمِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْلُوَ مَسْجِدٌ مِنْ حَلَقَاتٍ لِتَحْفِيظِ كِتَابِ الله تعالى وَتَعْلِيمِ تِلَاوَتِهِ لِكِبَارِ السِّنِّ، وَهُمْ أَهَمُّ شَرِيحَةٍ فِي الْمُجْتَمَعِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ قَرُبُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، فَيَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَهُمْ بِالتِّلَاوَةِ، وَأَنْ لَا يَنْشَغِلُوا كَثِيرًا بِالدُّنْيَا، وَالشَّبَابُ وَالْأَطْفَالُ أَيْضًا.

عَلَى خِلَافِ مَا نَحْنُ الْيَوْمَ عَلَيْهِ إِذَا قِيلَ: هُنَاكَ مَنْ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ. قَالُوا: ادْفَعُوا بِالْأَطْفَالِ! أَنْتَ أَيُّها الْكَبِيرُ أحقُّ، أَنْتَ الَّذِي أَصْبَحْتَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْمَوْتِ، أَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ.

وَالشَّبَابُ الَّذِينَ هُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ، إِنْ لَمْ يَتَرَبَّوْا عَلَى كِتَابِ اللهِ سبحانَهُ فَعَلَى مَاذَا يَتَرَبَّوْنَ؟ وَمَاذَا يَنْقُلُونَ لِلْأَجْيَالِ القادِمةِ مِنَ الدِّينِ؟!

الخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ: (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ تعالى). وَلَا يَكُونُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ تعالى إِلَّا بِشُرُوطٍ، وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ خَالِصًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ يَبْتَغِي فَاعِلُهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ.

أَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنْ وُجِدَ المَالُ جَاهَدْنَا وَإِنْ لَمْ يُوجَدِ المَالُ فَلَا جِهَادَ، هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مُخْلِصِينَ. فَالْجِهَادُ أَصْلُهُ وَمَنْبَعُهُ وَأَسَاسُهُ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هَذَا أَهَمُّ أَمْرٍ فِي الْجِهَادِ.

وَالْأَمْرُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ، بِمَعْنَى لَا يَكُونُ جِهَادًا فِي فِتْنَةٍ وَلَا بِدْعَةٍ وَلَا مُوَالَاةٍ لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

كُلُّ مَنْ جَاءَ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ. لَيْسَ كما تريدُ يا هذا!

لَا بُدَّ أَنْ يُوَافِقَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَهُ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ وَالثَّوَابُ الْكَبِيرُ، وَهُوَ مَوْعُودٌ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا به تعالى.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

****

(٣٥)

* خمس خصال استعاذ منها النبي ﷺ [(١)] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالِمِينَ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي كِتَابِ (الدُّعَاءِ) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ، وَمِنْ زَوْجَةٍ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ المَشِيبِ، وَمِنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ رَبًّا، وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا، وَمِنْ خَلِيلٍ مَاكِرٍ، عَيْنُهُ تَرَانِي وَقَلْبُهُ تَرْعَانِي، إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِذَا رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا».

هَذَا الحَدِيثُ يَذْكُرُ خَمْسَ خِصَالٍ، نَقِفُ عِنْدَهَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ:

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ هجرية، تعز.

الخَصْلَةُ الْأُولَى: (الِاسْتِعَاذَةُ مِنْ جَارِ السَّوْءِ)؛ لِأَنَّ جَارَ السَّوْءِ يَحْصُلُ بِهِ سُوءُ المَنْزِلِ، وَكَرَاهِيَةُ المَوْطِنِ، وَعَدَمُ الْأَمْنِ، وَالخَوْفُ مِنْ نَكْثَاتِهِ وَبَوَائِقِهِ، جَارُ السَّوْءِ يُحَوِّلُ المَكَانَ الطَّيِّبَ إِلَى مَكَانٍ سَيِّءٍ.

وَمَا يَحْمِلُ جَارَ السَّوْءِ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَّا ضَعْفُ الْإِيمَانِ، وَقِلَّةُ الصَّبْرِ، وَسُوءُ الْأَخْلَاقِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

رواه مسلم، وهو في البخاري بلفظ: «وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ».

إِذَا كَانَ الجَارُ يَخَافُ مِنْ جَارِهِ أَوْ مِنْ زَوْجَةِ الجَارِ أَوْ مِنْ أَبْنَاءِ الجَارِ أَنْ يَعْتَدُوا عَلَى بَيْتِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ، فَهَذَا جَارُ سَوْءٍ، ومآله إلى سوءٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا قَالَ جِيرَانُكَ أَنْتَ مُحْسِنٌ فَأَنْتَ مُحْسِنٌ، وَإِنْ قَالَ جِيرَانُكَ أَنْتَ مُسِيءٌ فَأَنْتَ مُسِيءٌ».

اسمعْ قصةَ رَجُلٍ يَشْكُو مِنْ أَذَى جَارِهِ:

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ: اطْرَحْ مَتَاعَكَ عَلَى الطَّرِيقِ فَطَرَحَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَيَلْعَنُونَهُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: «وَمَا لَقِيتَ مِنْهُمْ؟» قَالَ: يَلْعَنُونِي.

قَالَ: «قَدْ لَعَنَكَ اللهُ قَبْلَ النَّاسِ» قَالَ: فَإِنِّي لَا أَعُودُ فَجَاءَ الَّذِي شَكَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «ارْفَعْ مَتَاعَكَ فَقَدْ كُفِيتَ».

وفي رواية: (فكانَ كلُّ مَنْ مُرَّ بِهِ قال: ما شأْنُكَ؟ قال: جارِي يُؤْذيني. قال: فَيدْعو عليهِ. فجاءَ جارُهُ فقال: رُدَّ متاعَكَ؛ فإنِّي لا أوذِيكَ أبداً).

وهذه قصةٌ أخرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ».

الخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: (وَمِنْ زَوْجَةٍ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ المَشِيبِ). الزَّوْجَةُ إِمَّا أَنْ تكُونَ سَبَبًا لِسَعَادَةِ زَوْجِهَا وَرَاحَتِهِ، وَغِنَاهُ وَاطْمِئْنَانِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى الخَيْرِ، فَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ، وَالدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ.

وَأَمَّا الزَّوْجَةُ السَّوْءِ فَإِنَّهَا شُؤْمٌ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى زَوْجِهَا وَعَلَى بَيْتِهَا، جَاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ، وَالدَّارِ». فَشُؤْمُ المَرْأَةِ أَنْ تَبْقَى صَاحِبَةَ مَشَاكِلَ مَعَ زَوْجِهَا، وَسَيِّئَةَ التَّرْبِيَةِ لِأَبْنَائِهَا، وَكَثِيرَةَ الخُصُومَةِ مَعَ جِيرَانِهَا، وَهَكَذَا.

وجَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلنِّسَاءِ: «رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فَقُلْنَ: وَلِمَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ».

هَذِهِ الزَّوْجَةُ الَّتِي تُنْكِرُ مَعْرُوفَ الزَّوْجِ مَعَ كَثْرَةِ الْمَطَالِبِ وَالشَّكَاوَى، يَشِيبُ زَوْجُهَا قَبْلَ أَنْ يَحِينَ وَقْتُ الشَّيْبِ، فَلِذَلِكَ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا.

وهكذا الزوجة تستعيذُ من زوجٍ يُشَيِّبُها قبل الـمَشيبِ، ...

الخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ: (وَمِنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ رَبًّا)، وَلَدٌ يُحَاسِبُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيُعَاتِبُهُمْ وَيَعُقُّهُمْ وَيَزْجُرُهُمْ عَمَّا يُرِيدُونَ، يُعَامِلُهُمْ كَأَنَّهُمْ عُمَّالٌ عِنْدَهُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآبَاءِ إِذَا كَبِرَ سَلَّمَ الْمَسْئُولِيَّةَ لِلْوَلَدِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرْتَاحَ، فَيَنْقَلِبُ هَذَا الْوَلَدُ وَيَصِيرُ سَبَبًا لِضِيقِ الصَّدْرِ كالذي ذكَرهُ اللهُ تعالى في سورةِ الأحقافِ:

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

أينَ أنتَ من قولِ الله تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٣- ٢٤].

الْأَبَ لَا يَتَحَمَّلُ مِنْ وَلَدِهِ أن يكونَ عليهِ عذابًا، فَإِذَا كَانَ الْوَلَدُ يُرِيدُ الْمَسْئُولِيَّةَ وَأَنْ يَكُونَ مُرَاقِبًا لِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْأَبِ وَالْأُمِّ، لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ،

لَا يَصْنَعُونَ كَذَا إِلَّا بِمَشُورَتِهِ، فَهَذَا الابنُ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ، وَهُوَ إِلَى الْعُقُوقِ أَقْرَبُ.

الْمُسْلِمَ الَّذِي يَجْرَحُ مَشَاعِرَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ بِكَلِمَةِ (أُفٍّ) دَاخِلٌ فِي الْعُقُوقِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُبْكِيهِمَا؟

فَإِنَّ نَبِيَّنَا صلى الله عليه وسلم جَاءَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: جِئْتُ لِأُبَايِعَكَ وَأُجَاهِدَ مَعَكَ وَتَرَكْتُ لِي أَبَوَيَ يَبْكِيَانِ. فَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا».

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيم.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

الخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الحَدِيثِ واستعَذ النبيُّ صلى الله عليه وسلم منها: (وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا)، إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَذَابًا عَلَى صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ.

أَمَّا فِي الدُّنْيَا: فَعَذَابُ المَالِ جَمْعُهُ مِنَ الحَرَامِ، وَإِنْفَاقُهُ فِي الحَرَامِ، وَالتَّبْذِيرُ فِيهِ، أَوِ الْانْشِغَالُ وَالْكَدُّ الْكَثِيرُ فِي طَلَبِهِ، يَكِدُّ لَيْلًا وَنَهَارًا لَا يَرْتَاحُ، يَسْعَى طَوَالَ الْوَقْتِ فِي جَمْعِ المَالِ، وتَذْهَبُ الدُّنْيَا وَيَأْتِيهِ المَوْتُ وَمَا ذَاقَ الرَّاحَةَ، ولا تَفَرَّغَ لِدِينِهِ.

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ: فَإِنَّ المَالَ إِذَا كَانَ مِنْ حَرَامٍ فَصَاحِبُهُ مُعَذَّبٌ، أَوْ لَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ فَصَاحِبُهُ مُعَاقَبٌ. جَاءَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ جِسْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ».

وَجَاءَ فِي حَدِيثِ الزَّكَاةِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ

نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

فالمالُ إذا لم يُكتَسَبْ بالطريقةِ الصحيحةِ وينفقْ في موضعِه فهو وبالٌ على صاحبِه وفتنةٌ، (لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ).

الخَصْلَةُ الخَامِسَةُ: (وَمِنْ خَلِيلٍ مَاكِرٍ عَيْنُهُ تَرَانِي وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي). خَلِيلٌ أَيْ: يُظْهِرُ الْـخُلَّةَ وَالمَوَدَّةَ وَالمَحَبَّةَ، هَذَا فِي الظَّاهِرِ، لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ هُوَ مَاكِرٌ، يُظْهِرُ مَا لَا يُبْطِنُ، ذُو وَجْهَيْنِ وَشَرُّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ. قَالَ: «عَيْنُهُ تَرَانِي» أَيْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ بِوُدِّ الصَّدِيقِ، «وَقَلْبُهُ تَرْعَانِي» تَفسِيرُهَا مَا بَعْدَهَا: «إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا». هَكَذَا بَعْضُ النَّاسِ فِي الظَّاهِرِ صَدِيقٌ وَفِي الْبَاطِنِ شَيْءٌ آخَرُ:

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً ... وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ

فَهَذَا الصَّدِيقُ ضَرَرُهُ كَبِيرٌ وَشَرُّهُ مُسْتَطِيرٌ، لِأَنَّكَ تَثِقُ بِهِ وَتَرْكَنُ إِلَيْهِ، وَلَا تَدْرِي بِمَا يَحِيكُ لَكَ مِنَ المَكْرِ والخَدِيعةِ.

إِذَا رَأَى مِنْ حَسَنَاتِكَ، مِنْ صَدَقَاتِكَ، مِنْ صَلَاحِكَ، مِنْ عِبَادَتِكَ، مِنْ أَخْلَاقِكَ، يَدْفِنُهَا لَا يُحَدِّثُ النَّاسَ بِهَا، وَإِنْ رَأَى لَكَ خَطأً أَحْيَانًا أَوْ كَلِمَةً سَيِّئَةً خَرَجَتْ مِنْكَ أَذَاعَهَا عِنْدَ النَّاسِ، عِنْدَ الجِيرَانِ، فِي المَجَالِسِ: هَلْ سَمِعْتُمْ مَا قَالَ فُلَانٌ؟

هَلْ عَلِمْتُمْ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ يَبْقَى يُشِيعُ مِثْلَ هَذِهِ الكَلِماتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَكْرِهِ، وَخَبْثِ طَوِيَّتِهِ، وَسُوءِ تَرْبِيَتِهِ.

فَهَذَا الخَلِيلُ يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعَاذَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ.

وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٣٦)

* محاسن الإسلام في العقيدة والعبادة[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، نَحْمَدُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا الَّذِي جَعَلَنَا مُسْلِمِينَ، مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ الحَنِيفِ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ، دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي حَبَاكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ دِينٌ عَظِيمٌ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَالمَحَاسِنِ وَالخَصَائِصِ وَالمَزَايَا مَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَيْهَا وَيَعْرِفَ قَدْرَ الدِّينِ الَّذِي وَفَّقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ.

جَاءَ عِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ». دِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ الحَنِيفِيَّةِ أَيْ: دِينُ التَّوْحِيدِ، وَكَذَلِكَ دِينُ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهِ وَعَقَائِدِهِ ومُعَامَلَاتِهِ.

---

(١) سجلت في عام ١٤٤٦ هجرية، عدن.

فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

يُرِيدُ بِكُمُ الْيُسْرَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ حِينَ بَالَ الْأَعْرَابِيُّ فِي المَسْجِدِ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».

وَأَوْصَى أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا حِينَ بَعَثَهُمَا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا». فالإسلامُ دِينٌ عَظِيمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْيُسْرِ وَالسَّمَاحَةِ وَالسُّهُولَةِ فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهِ، مِنْ غَيْرِ تَمَيُّعٍ وَلَا تَضْيِيعٍ، كَمَا يَفْهَمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ يُسْرَ الْإِسْلَامِ أَنْ يُضَيِّعَ أَحْكَامَهُ وَأَنْ يَلْعَبَ بِعِبَادَتِهِ.

لَيْسَ هَذَا هُوَ الْيُسْرَ، وَلَكِنَّ يُسْرَ الْإِسْلَامِ شَيْءٌ عَظِيمٌ جَعَلَهُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ كَمَا سَيَأْتِي.

مَنِ الْتَزَمَ بِهَذَا الدِّينِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ حَيَاةٍ مُطْمَئِنَّةً فِي الدُّنْيَا، منشرح الصدر، ثم ينتقلُ إلى حياةٍ طيبةٍ في الآخرةِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الحَيَاةُ السَّعِيدَةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي يَبْحَثُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَفِي التَّمَسُّكِ بِهِ كَمَا أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

دِينُ الْإِسْلَامِ دِينٌ شَامِلٌ، دِينٌ كَامِلٌ، دِينٌ وَافٍ لِجَمِيعِ حَاجَاتِ الحَيَاةِ، فِيهِ حَقُّ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ، فِيهِ حَقُّ الْبَدَنِ وَالرُّوحِ، فِيهِ حَقُّ الله تعالى وَحَقُّ الْعَبْدِ، فِيهِ حَقُّ الْمُسْلِمِ وَحَقُّ الْكَافِرِ، فِيهِ حَقُّ الطِّفْلِ وَحَقُّ المَرْأَةِ، حَقُّ الطَّيْرِ وَالحَيَوَانِ، حَقُّ الْبِحَارِ وَالْبَرَارِي، حَتَّى الشَّجَرُ لَهَا فِي الْإِسْلَامِ حُقُوقٌ، وهذا دليلٌ لِكمالِهِ وجَمالِهِ.

وَالتَّطَوُّرُ الْعَصْرِيُّ أَيْضًا لَهُ أَحْكَامٌ وَضَوَابِطُ مَوْجُودَةٌ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

دِينٌ كَامِلٌ فلَا حَاجَةَ إِلَى الْآرَاءِ الشَّاذَّةِ، وَلَا إِلَى الْبِدَعِ الْمُحْدَثَةِ، وَلَا إِلَى الْقِيَاسَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَلَا إِلَى زِبَالَةِ الْأَفْكَارِ، وَلَا إِلَى الْقَانُونِ وَلَا إِلَى الدِّيمقْرَاطِيَّةِ وَالْعَلْمَانِيَّةِ، لَيْسَ هُنَاكَ حَاجَةٌ لِشَيْءٍ مِنْ خَارِجِ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَدِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ المَحَاسِنِ فِي عَقَائِدِهِ وَأَعْمَالِهِ، عَقِيدَةُ الْإِسْلَامِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَمِنَ السُّنَّةِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. عَقِيدَةُ الْإِسْلَامِ المَأْخُوذَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَ فِيهَا تَنَافُرٌ، ولا تناقضٌ، لَيْسَ فِيهَا مُسْتَحِيلَاتٌ، لَيْسَ فِيهَا مَا تَمُجُّهُ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ، أَوْ تَرْفُضُهُ الْقُلُوبُ الصَّحِيحَةُ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهَا: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

عَقِيدَةُ الْإِسْلَامِ تُبْنَى عَلَى تَعْظِيمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَعَلَى التَّسْلِيمِ لِأَخْبَارِهِ مِنَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْغَيْبِيَّاتِ، والْأَحْكَامِ وَالشَّرْعِيَّاتِ، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

يُسَلِّمُونَ فِي الْعَقِيدَةِ والعِبادةِ أَوَّلًا، وَفِي الْأَحْكَامِ الْقَضَائِيَّةِ ثَانِيًا، فِي المُعَامَلَاتِ مِنْ بُيُوعٍ وَنِكَاحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَيَبْتَعِدُونَ عَمَّنْ يَرْفُضُ حُكْمَ اللهِ تعالى فِي الْعَقِيدَةِ، فَيُؤَوِّلُ صِفَاتِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعَمَّنْ يُنْكِرُ أَنَّ اللهَ تعالى فِي السَّمَاءِ فَوْقَ الْعَرْشِ اسْتَوَى.

وَيَبْتَعِدُونَ عَمَّنْ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ للهِ تعالى يَدًا ووَجْهًا كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ وكما يليقُ بجلالهِ.

وَيَبْتَعِدُونَ عَمَّنْ يَحْكُمُ بِغَيْرِ شَرْعِ اللهِ وَيَسْعَى إِلَى نَبْذِ كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مِنْ عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِيَّاتِ، بِنَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ، بِالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَمِنْ عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ وَأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

وَمِنْ عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ طَاعَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ».

فَهَذِهِ الْعَقَائِدُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْعَظِيمَةُ هِيَ زَادُكَ إِلَى الْآخِرَةِ.

وَيَوْمَ أَنْ تُغَيِّرَ فِي دِينِ اللهِ تعالى وَتَأْتِي بِالْبِدَعِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكَ وَصِيَامَكَ وَحَجَّكَ وَزَكَاتَكَ تَذْهَبُ أُجُورُهَا بِسَبَبِ عَقِيدَتِكَ الْفَاسِدَةِ.

وَيَوْمَ أَنْ تُصَحِّحَ عَقِيدَتَكَ فَإِنَّ عَمَلَكَ الْقَلِيلَ يُكَثِّرُهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَجْعَلُهُ أَجْرًا عَظِيمًا مُبَارَكًا تَجِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ سَلَامَةِ الْمُعْتَقَدِ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيم.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ فِي الْعِبَادَاتُ سَوَاءٌ كَانَتْ فِي الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ أَوْ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ.

تَأَمَّلْ فِي مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ فِي الطَّهَارَةِ: طَهَارَةٌ لِلْبَدَنِ، وَنَقَاءٌ لِلْقَلْبِ، ونَشَاطٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَغُفْرَانٌ لِلذُّنُوبِ، وَرَفْعٌ لِلدَّرَجَاتِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ».

ومِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّلَاةِ: فِيهَا اجْتِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، يُصَلُّونَ لِرَبٍّ وَاحِدٍ، وَإِلَى قِبْلَةٍ وَاحِدَةٍ، يُذَكِّرُهُمْ هَذَا بِأَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، لَا يَجُوزُ أَنْ تُفَرِّقَهُمُ الْقَبَلِيَّةُ وَلا الْعَصَبِيَّةُ، وَلَا كَذَلِكَ الْجِزْبِيَّاتُ الَّتِي شَتَّتَتِ الْمُسْلِمِينَ.

فِي الصَّلَاةِ رَاحَةُ الْقَلْبِ وَاطْمِئْنَانُ النَّفْسِ، وَصَلَاةُ الْعَبْدِ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَي اللهِ فَإِنَّهُ

يَصْلُحُ، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ وَإِنَّمَا يَأْتِي الخَلَلُ مِنْ ضَعْفِ الصَّلَاةِ، وبِسَبَبِ الخَلَلِ فِي الصَّلَاةِ تَنَافَرَتِ الْقُلُوبُ وَكَثُرَتِ الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ.

وكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسَوِّي الصُّفُوفَ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ». بِتَفْرِيطِ الْمُسْلِمِينَ فِي الصَّلَاةِ صَارُوا أَعْدَاءً لِبَعْضِهِمْ وَمُتَنَافِرِينَ حَتَّى عَنِ التَّعَاوُنِ عَلَى الحَقِّ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ فِي الزَّكَاةُ: يُعْطَفُ فِيهَا الْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ، وَيَتَخَلَّصُ الْبَاذِلُ مِنْ شُحِّ النَّفْسِ وَلُؤْمِهَا، فَإِنَّ الزَّكَاةَ عُنْوَانٌ عَلَى صِدْقِ الْإِيمَانِ، وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ». بُرْهَانٌ عَلَى صَلَاحِكَ وَطِيبِ قَلْبِكَ، وَإِيمَانِكَ وَتَقْوَاكَ.

وقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الزَّكَاةِ: «تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ». فَالزَّكَاةُ عُنْوَانٌ عَلَى تَرَابُطِ الْمُجْتَمَعِ وَالنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

وَمَحَاسِنُ الْإِسْلَامِ فِي الصِّيَامِ: يَصُومُ الْمُسْلِمُونَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، يَتَعَلَّمُونَ فِيهِ الصَّبْرَ وَالْأَخْلَاقَ، وَكَذَلِكَ يُصْلِحُ الْقَلْبَ وَيَكْثُرُ الخَيْرُ.

أَلَا تَرَوْنَ فِي رَمَضَانَ تَكْثُرُ الْأَرْزَاقُ، وَيَكْثُرُ فِعْلُ الخَيْرِ؟ وَهَذَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ أَنَّ الطَّاعَةَ لَا تُنْقِصُ الرِّزْقَ؛ بَلْ تَكُونُ سَبَبًا فِي زِيَادَتِهِ.

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ فِي الحَجِّ: أَنَّ الْمُسْلِمَ يَعْتَادُ عَلَى بَذْلِ المَالِ، وَتَحَمُّلِ المَشَاقِّ، وَاللِّقَاءِ بِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَقْطَارٍ شَتَّى، يَتَعَرَّفُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَيَتَحَسَّسُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، فَيَعْرِفُ الْمُسْلِمُ أَنَّ لَهُ إِخْوَانًا فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ.

وَمَحَاسِنُ الْإِسْلَامِ فِي الْبُيُوعِ وَفِي النِّكَاحِ وَفِي جَمِيعِ الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٣٧)

* الحوار في ذم الثأر[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، الحكمِ الحقّ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا نعمةِ الإسلامِ والأُخوَّةْ، ونعوذُ بِهِ تعالى من أخلاقِ الجاهليةْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الناصحُ الأمينُ، والمصلحُ الكريمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

معاشرَ المسلمينَ! اِعلَمُوا أنَّ الإسلامَ دينُ الخيرِ كلِّهِ، وأن العاداتِ التي اخترعها الناسُ مما خالفَ الإسلامَ محنةٌ وفتنةٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُـبِّـيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ». عُبِّيَّةُ الجَاهِلِيَّةِ: كبرُها وفخرُها وتعاظمُها. فما بالُ بعضِ الناسِ يثيرُ الفتنَ بين القبائلِ تحت حجةِ الثأرِ.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، شبوة.

فإنْ قالَ: أنا أنصرُ صاحبي؟

فالجواب: انصرْهُ بالحقِّ فقط، فلا يجوزُ لك أن تنصرَهُ بالباطلِ، واسمعْ الوعيدَ في التعصبِ الباطلِ: قال ﷺ: (وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ).

فإن قال: قبيلةُ القاتلِ أو المعتدي وقفوا مع صاحبِهم، وأنا أقفُ مع صاحبي؟

فالجواب: بلْ تقفُ معهُ بالحقِّ، لا بالطرقِ الجاهليةِ والثارات.

فإن قال: وكيف أنصرُه بالحقِّ؟

فالجواب: بالطرقِ الشرعيةِ، كرفعِ شأنِ المعتدي إلى الدولةِ ونحوها، والمطالبةِ بإقامةِ حدِّ اللهِ تعالى عليه.

فإن قال: الدولةُ لا تهتمُ بإنجازِ القضايا بسرعة؟

فالجواب: إثارةُ الفتنةِ بين القبائلِ أطولُ وقتًا، وأكثرُ خسارةً، فرب قبائلَ دام القتالُ بينهم سنواتٍ، وربما عشرات السنوات، لا تتعجلْ، فالعجلةُ أمُّ الندامات، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾، وقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

فإن قال: ربما يهربُ القاتلُ ولا حلَّ إلا أن نقتلَ أحدَ القبيلةِ، لأنهمُ السبب؟

فالجواب: هذا لا يجوزُ في دينِ الإسلامِ، فإياكَ أن تكونَ موصوفًا بجاهلية أبي لهبٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» متفق عليه، وقال: «وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»، واسمع لهذا الحديث العظيم: قال ﷺ: (وَإِنَّ مِنْ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. رَجُلٌ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَرَجُلٌ أَخَذَ بِذُحُولِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ). حديث صحيح رواه أحمد وغيره، وذُحُولُ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ: هي الثارات.

فإن قال: قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾؟

فالجواب: هذا صحيحٌ، وهو دليلٌ على أنهُ لا يقتلُ إلا القاتلَ؛ لا تَقتلُ قريبَهُ ولا صاحبَه، فافهمْ كلامَ الله تعالى، فإنْ قتلتَ غيرَ القاتلِ فالويلُ لكَ من لقاءِ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، أتَرضى بهذا لنفسِكَ من أجلِ طاعةِ الشطانِ، والتعجلِ المذموم.

قال ابنُ قدامةَ رحمه اللهُ تعالى: أجمعَ المسلمونَ على تحريمِ القتلِ بغيرِ حق.

فإن قال: حتى لو تركتُ أنا فأصحابي لن يتركوا؟

فالجواب: ابدأ بنفسِك، ثم ناصحْ غيرَكَ، وكلُّ شخصٍ سيقفُ أمامَ اللهِ تعالى وحدهُ، فلا تحتجْ بفلانٍ ولا علانٍ، صاحبُك من نهاكَ عن الشرِّ، وأما عَوينَ الفتنةِ فهو عدوُّكَ بعدَ الموتِ: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

فإن قال: تركُ القاتلِ يشجعُ الناسَ على القتلِ؟

فالجواب: لن يشجعَهُ ما دامَ وأنهُ مطلوبُ للعدالةِ، بل هذا يقطعُ الفتنَ ويسدُّ بابَ الثاراتِ الجاهليةِ، وتأملْ هذه الآية: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال الشوكاني رحمه الله تعالى: جَعَلَ اللهُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً، وَنَكَالًا، وَعِظَةً إِذَا ذَكَرَهُ الظَّالِمُ الْمُعْتَدِي كَفَّ عَنِ الْقَتْلِ.

وقال: هَذَا الْحُكْمِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ تعالى لَكُمْ حَيَاةٌ، لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ قِصَاصًا إِذَا قَتَلَ آخَرَ كَفَّ عَنِ الْقَتْلِ، وَانْزَجَرَ عَنِ التَّسَرُّعِ إِلَيْهِ وَالْوُقُوعِ فِيهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحَيَاةِ لِلنُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

وهذا بخلافِ الثاراتِ فإنها لا تكادُ تقفُ، فهو قتلٌ يؤدي إلى قتالٍ، أما حكمُ اللهِ تعالى فيؤدي إلى تركِ القتلِ والقتالِ. وأستغفر الله العظيم.

****

(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أَمَّا بَعْدُ:

أيها الناسُ، اليومُ دنيا وغدًا موتٌ وحِسابٌ، وجنةٌ ونارٌ، فانظرْ لنفسِكَ مخرجًا من النارِ، فإن العاقلَ الحليمَ من يشاورُ ينظرُ في عواقبِ الأمورِ، وإن الطائشَ اللئيمَ من يغضبُ فيعميهِ الغضبُ عن الصوابِ ويقعُ في المحظورِ.

فإن قال قائل: مع أصحابِك على الخطإِ ولا وحدَكَ مُصِيبٌ؟

فالجواب: هكذا قال أهل الجاهلية عبدة الأصنام، قال أحدُهم:

قومٌ إذا الشَّرُّ أبْدَى ناجذَيْهِ لهم ... طاروا إليه زَرَافاتٍ ووُحْدَانَا

لا يسألونَ أخاهُمْ حينَ يندبُهُمْ ... في النائباتِ على ما قال بُرْهَانَا.

هكذا قال أهلُ الجاهليةِ، عصبيةٌ بلا عقلٍ، وأما اللهُ تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، والعدل في القصاصِ عبر المحكمةِ كما شرعَ الله تعالى.

ثم اعلمْ يا هذا أن الواقعَ أنكَ لو اختلفتَ مع صاحبِكَ حملتَ السلاحَ عليهِ وانتهى الصَّحَبُ الذي بينكُم، وتقاتلتِ القبيلةُ الواحدةُ بينها، وهذا من آثار العصبيةِ الجاهليةِ تفرقُ أصحابَها. هذا في الدنيا، وفي الآخرة اسمعْ ما يقولُ الله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾، انتهى الصحبُ المبني على باطلٍ.

فإن قال: مشايخُنا هم الذين يطلبونَ منا الجريَ وراءَ الثأر؟

فالجواب: اعلم أن اللهَ تعالى أحقُّ أن يطاعَ، قال ﷺ: « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»، ولكن ناصِحْهُم بأن يحكموا بما أنزلَ اللهُ تعالى، وأن يراقبوا اللهَ تعالى فيمَن تحتَ أمرهم، قال ﷺ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ» رواه مسلم.

فياويلَ من يحركُ الفتنَ بمثلِ هذه العاداتِ المنكرة، وربُّنا جل وعلا يقولُ:

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، ويقول:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

هذه عاداتٌ طاغوتيةٌ لا يجوزُ لمسلمٍ أن يصدقَ الشيطانَ فيها.

فإن قلت: فإن كانَ القتالُ معَ آخرينَ فكيفَ يكونُ لي موقفٌ مُشَرَّفٌ؟

نقول: أولًا: لا تشاركْ في الفتنةِ معهم، وهذه أولُ السعادةِ والنجاةِ، عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا».

ثانيًا: تسعى بالصلحِ وتُذَكِّرهم باللهِ تعالى، وحسابِهِ، وحرمةِ الدماءِ، وواجبِ الأخوةِ، والصبرِ، وطلبِ الحقِّ عن طريقِ الشرعِ، وتحذرُهم من هذه الطرقِ العمياءِ التي تنتهي بأهلِها إلى ظلماتِ الدنيا والآخرةِ، وما تسببُه من شرورٍ وقطعٍ للمصالحِ، وحرمانٍ من الأمنِ والمعايشِ، وغير ذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ثالثًا: إذا لم يستجيبوا لكَ فعليكَ إبلاغُ السلطةِ والأمنِ، ودعوةُ المصلحينَ لإعانتِك، ولا تيأسنَّ، فإن الله تعالى في عونكَ، ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

رابعًا: لا تشاركْ ولا ترضى بالحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ تعالى، فإن هذا أشدُّ فتنةً وضررًا على الفردِ والمجتمعِ.

ولا يصلحُ الناسَ في العاجلِ والآجل مثل حكم الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

خامسًا: على الدعاةِ والخطباءِ بثُّ الوعيَ في المجتمعِ قبلَ نزولِ هذه المصائب، فالوقايةُ خيرٌ من العلاجِ، وحتى يَسمعُ الناسُ والأطفالُ والرجالُ والنساءُ بخطر الشرِّ قبلَ تجرُّعِ غُصَصِهِ، ونشرُ هذا في كتبِ المدارسِ وغيرِها.

ختامًا: على الدولةِ الحرصُ على تطبيقِ شرعِ الله تعالى، ومعاقبةُ القضاةِ الذين يماطلونَ في قضايا الناسِ، ويستنزفون أموالَـهم بالرشوات السنينَ الطوال.

وعلى أهلِ المقتولِ رفضُ أي عصبيةٍ من قبيلتِهم، بل يطلبونَ منهمُ الوقوفَ بالحقِّ.

وعلى قبيلةِ القاتلِ أن يقفوا ضدَّ القاتلِ، ويسلموهُ للعدالةِ، ولا يفتحوا بابَ الشر.

والله المستعان.

نسألُ اللهَ تعالى التوفيقَ وصلاحَ الحالِ للجميعِ.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.



(٣٨)

* موانِعُ انفاذِ الوعيد[١] *

(الخطبة الأولى)

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ: معاشر المسلمين!

إِنَّ مِنْ عَقِيدَتِنَا الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا سَلَفُ الْأُمَّةِ: أَنَّهُ لَا يُحْكَمُ لِـمُعَيَّنٍ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا بدلِيلٍ.

أَمَّا عُصَاةُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّنَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ، وَلَا نَجْزِمُ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا سَيُعَذِّبُهُمْ، بل هُمْ تحتَ مشيئَةِ الله تعالى؛ لِأَنَّ هُنَاكَ مَوَانِعَ مُتَعَدِّدَةً تَمْنَعُ مِنْ إِنْفَاذِ الْوَعِيدِ فِي حَقِّهِمْ، مِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ نَفْسِهِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنْ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٠ هجرية، سقطرى.

فَمِنَ الموَانِعِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنْ إِنْفَاذِ الْوَعِيدِ فِي حَقِّ الْمُذْنِبِ:

التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -وَهُوَ يُخَاطِبُ نَاسًا مِنَ الْمُذْنِبِينَ الْمُسْرِفِينَ، يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ-: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؛ أَيْ: لِمَنْ تَابَ وَرَجَعَ إِلَى اللهِ تعالى.

وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا يُعَذِّبُ مَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَأَصْلَحَ بَعْدَ الْإِسَاءَةِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

يغْفِرُ كثيرًا لِمَنْ تَابَ وَأَقْلَعَ عَنِ الذُّنُوبِ، وَعَزَمَ أَلَّا يعُودَ، وَأَصْلَحَ وَاهْتَدَى فِي أَعْمَالِهِ، وَسَيْرِهِ وَسُلُوكِهِ.

وَمِنَ المَوَانِعِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنْ إِنْفَاذِ الْوَعِيدِ فِي حقِّ العاصِي:

الحَسَنَاتُ الَّتِي يُقَدِّمُهَا الْعَبْدُ وَيَجْعَلُهَا خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَجَاءَ أَيْضًا عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ»، قَالَ: (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ).

ومنَ الموانِعِ: الموتُ على التوحيدِ الخالص:

جاءَ من حدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ لَقِيتَنِي بِمِثْلِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُكَ بِمِلْءِ الْأَرْضِ مَغْفِرَةً».

وأعظمُ التوحيدِ كلمة الإخلاصِ لمن اعتقدَها وعملَ بمقتضَاها، في مسندِ أحمدَ من حديثِ عَبدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَقَالَ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِندَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: فَإِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، وَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِ مُوقِنٍ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهَا» رواه ابن ماجه (٣٧٩٦) وحسنه الألباني.

وجاء عن عتبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قَالَ: «لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَيَدْخُلَ النَّارَ، أَوْ تَطْعَمَهُ».

والأحاديثُ في هذا كثيرة.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

****

(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أَمَّا بَعْدُ:

فَمِنَ الْمَوَانِعِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنْ إِنْفَاذِ الْوَعِيدِ فِي حَقِّ الْمُذْنِبِ مِمَّا يَكُونُ مِنْ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ: الدُّعَاءُ له بالمغفرة، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾.

فَدُعَاءُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِعَفْوِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا عنه، واقْرَؤُوا حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ» أَيْ: بِسَبَبِ دُعَائِهِمْ لَهُ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يُشَفِّعُهُمْ بمعنى: يستجيب دعاءهم، وَيَعْفُو عَنْ هَذَا الْعَبْدِ الْمُذْنِبِ.

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ الدَّفْنِ قَالَ: (اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ).

ومن أفضل الدُعَاءُ للمُسْلِمِ دعاءُ الأبناءِ الصالحينَ، يَنْفَعُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَغْفِرُ بِهِ الزَّلَّاتِ، وَيَعْفُو بِهِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، ويَرفعُ بِهِ الدَّرجاتِ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يُرْفَعُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الجَنَّةِ دَرَجَاتٍ لِعِبَادٍ بِحَسَنَاتٍ لَمْ يَعْمَلُوهَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى هَذَا؟ فَيَقُولُ: "بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ".

وَهَكَذَا أَيْضًا بِاسْتِغْفَارِ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ لَكَ، وَبِدَعْوَتِهِ لَكَ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ.

وَمِنَ الْمَوَانِعِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنْ إِنْفَاذِ الْوَعِيدِ: الصَّدَقَاتُ الَّتِي يَبْذُلُهَا الْمُسْلِمُ لِقَرِيبِهِ أَوْ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَتَقَبَّلُ ذَلِكَ إِنْ كَانَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ، وَيَنْفَعُ بِهِ مَنْ تَصَدَّقَ لَهُ أَوْ مَنْ حَجَّ لَهُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

جَاءَ فِي مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَلَهَا أَجْرٌ، إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»

وَمِمَّا يَنْفَعُ الْمُسْلِمُ بِهِ أَخَاهُ المسلمَ الميتَ: قَضَاءُ الدَّيْنِ.

فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ: سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ، فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟»، قَالُوا: ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ، قَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَعَلَيَّ دَيْنُهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ قَضَاءَ الدَّيْنِ يَنْفَعُ الْمُسْلِمَ الْمُذْنِبَ، وَيَرْتَفِعُ عَنْهُ إِثْمُ الدَّيْنِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ.

وَمِنَ الْمَوَانِعِ الَّتِي مِنْ قِبَلِ إِخْوَانِكَ الْمُسْلِمِينَ: الشَّفَاعَةُ. وَالْحَدِيثُ عَنْهَا يَطُولُ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْفَعُ لَهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ والأنبياءُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ فَلَا يَدْخُلُ النَّارَ، أو عملُهُ الصالِحُ، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عند أحمد أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، فَيُشَفَّعَانِ).

وَمِنَ الْمَوَانِعِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنْ إِنْفَاذِ الْوَعِيدِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ:

الأول: الْمَصَائِبُ وَالْهُمُومُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْمَصَائِبَ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا يُقَدِّرُهَا وَيُنْزِلُهَا عَلَى الْعَبْدِ بِغَيْرِ رِضَا هَذَا الْعَبْدِ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِالْعَبْدِ كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ.

فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

فَتغفرُ الذُّنُوبُ وَيَمْحُوهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِسَبَبِ مَا يَنْزِلُ بِالْعَبْدِ مِنَ الْمَصَائِبِ،

حَتَّى أَنَّهُ لَيَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ، قال ﷺ: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُصِيبهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي النَّاسِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

وَأَمَّا الْعَفْوُ الْإِلَهِيُّ، وَهُوَ الرَّجَاءُ الْأَعْظَمُ لِلْعِبَادِ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. فَعَفْوُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَاسِعٌ، وَرَحْمَتُهُ كَبِيرَةٌ لِلْعِبَادِ، فَيَعْفُو عَمَّنْ شَاءَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ، فَلَا يُعَذِّبُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَيَعْفُو عَمَّنْ شَاءَ فَيُعَذِّبُهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْقَبْرِ وَيَعْفُو عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ.

فَنَاسٌ تُدْرِكُهُمْ هَذِهِ الْمَوَانِعُ، وَنَاسٌ لَا تُدْرِكُهُمُ الْمَوَانِعُ؛ فَيُعَذَّبُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ثم مآلُهُ إلى الجنَّةِ.

نَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وفَضْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَاسِعٌ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ تُجْتَنَبَ الْكَبَائِرُ الْعِظَامُ الَّتِي لَا تَنْفَعُ مَعَهَا الْمَوَانِعُ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ تعالى وَالْكُفْرُ وَالْفِسْقُ الْأَكْبَرُ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٣٩)

* العدلُ والظُّلمُ[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ، مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

إِنَّ مِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ:

الْعَدْلَ؛ وهو: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ.

سَوَاءٌ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقَائِدِ أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ وَالْمُعَامَلَاتِ.

وَمَحَاسِنُ الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٌ، وَالْعَدْلُ فَوْقَ الرَّحْمَةِ، وَفَوْقَ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ، وَهُوَ وَاجِبٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَبِالْإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، المكلا.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فَالْعَدْلُ أَمْرُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَوَامِرُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا يَجِبُ أَنْ تُتَلَقَّى بِالْمَحَبَّةِ وَالْعَمَلِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى ذَلِكَ.

وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَ الْمُسْلِمَ أَنْ يَعْدِلَ فِي حُكْمِهِ؛ سَوَاءٌ كَانَ وَالِيًا عَلَى دَوْلَةٍ، أَوْ مُحَافَظَةٍ، أَوْ مُدِيرِيَّةٍ، أَوْ قَرْيَةٍ، أَوْ أُسْرَةٍ، أَوْ حَتَّى يَحْكُمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.

فَهَذَا وَاجِبُ الْمُسْلِمِ فِي أَحْكَامِهِ؛ أَنْ يَحْكُمَ بِالْعَدْلِ، وَالْعَدْلُ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ مُوَافَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ عُبَادَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ...، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْعَدْلِ أَيْنَ كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ» ؛ فَالْعَدْلُ هُوَ الْحَقُّ، هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَأَعْدَلُ الْعَدْلِ: تَوْحِيدُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَمَنْ كَانَ عَلَى التَّوْحِيدِ فَهُوَ عَلَى الْعَدْلِ، فَهُوَ عَلَى الصَّوَابِ وَالْحَقِّ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾؛ أَيْ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

فَلَا عَدْلَ أَعْظَمُ مِنْ تَوْحِيدِ الله تعالى، فَمَنْ فَرَّطَ فِي تَوْحِيدِ الله جَلَّ وَعَلَا فَهُوَ ظَالِمٌ، فَهُوَ مُخَالِفٌ، فَهُوَ ضَالٌّ مُنْحَرِفٌ؛ فَلَا قِيمَةَ لِرَجُلٍ وَلَا لِإِنْسَانٍ إِلَّا بِتَوْحِيدِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمِنَ الْعَدْلِ: الْعَدْلُ فِي الْقَوْلِ، وَالصُّلْحِ، مَعَ الصَّدِيقِ وَالْقَرِيبِ وَالْعَدُوِّ، وَحَتَّى مَعَ الْأَوْلَادِ وَالزَّوْجَاتِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، وَقَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾.

مَهْمَا كَانَ قَرِيبًا فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ، وَمَهْمَا كَانَ بَغِيضًا فَلَا يَحْمِلُكَ بُغْضُهُ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

حَتَّى بَيْنَ أَوْلَادِكَ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ).

الْعَدْلُ نَجَاةٌ وَفَوْزٌ فِي الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ؛ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: (ثَلاثٌ مُنْجِياتٌ: خَشيةُ الله تَعَالى فِي السِّرِّ والعَلانيةِ، والعدلُ فِي الرِّضَا والغضبِ، والقَصدُ فِي الفَقرِ والغنَى)، فَالْمُسْلِمُ حِينَ يَعِيشُ عَادِلًا مُوَافِقًا لِدِينِهِ وَشَرْعِهِ فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ وَإِلَى خَيْرٍ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيم.

(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

فَكَمَا أَنَّ أَعْظَمَ الحَسَنَاتِ الْعَدْلُ وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ، فَكَذَلِكَ مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ تَحْرِيمُ الظُّلْمِ.

وَالظُّلْمُ أَقْبَحُ الْقَبَائِحِ وَأَعْظَمُ السَّيِّئَاتِ، وَالظّلْمُ مُحَرَّمٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْعقْلِ وَالْفِطْرَةِ.

مَا مِنْ أُمَّةٍ مُسْلِمَةٍ أَوْ كَافِرَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَذُمُّ الظُّلْمَ؛ لِأَنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ فِي الْقَلْبِ، ظُلُمَاتٌ فِي الْأَخْلَاقِ، ظُلُمَاتٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وَأَظْلَمُ الظُّلْمِ: الشِّرْكُ بِاللهِ تعالى؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ أَعْظَمُ مِنْهُ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وَقَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

فَالظُّلْمُ يَشْمَلُ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ بِاللهِ تعالى، كَمَا أَنَّهُ يَشْمَلُ الْبِدَعَ؛ فَالْبِدَعُ مِنَ الظُّلْمِ، وَكُلَّمَا كَانَ أَتْبَاعُ الْمُبْتَدِعِ أَكْثَرَ كَانَ ظُلْمُهُ أَوْسَعَ.

وَاقْرَأْ قَوْلَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

التَابِعُ يَشْتَكِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَأَنَّهُ أَضَلَّهُ أَوْ أَطَاعَهُ فِي الْبِدْعَةِ، أَوْ أَطَاعَهُ فِي الضَّلَالِ، أَوْ أَوْقَعَهُ فِي الشِّرْكِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ: الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تعالى؛ سَوَاءٌ كَانَ عَلَى مُسْتَوَى الدَّوْلَةِ أَوْ عَلَى مُسْتَوَى الْأُسْرَةِ.

فَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَذُمُّونَ الظُّلْمَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، وَهُوَ فِي أُسْرَتِهِ أَوْ مَعَ جِيرَانِهِ ظَالِمٌ! لَكِنْ لَا يَحْسِبُ حِسَابَ نَفْسِهِ، عَيْنُهُ مَفْتُوحَةٌ عَلَى غَيْرِهِ وَنَسِيَ عُيُوبَ نَفْسِهِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ظُلْمٌ عَظِيمٌ حَتَّى عَلَى مُسْتَوَى الْآبَاءِ مَعَ بَنَاتِهِمْ؛ رُبَّمَا يَحْرِمُهُنَّ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَذَلِكَ مِنَ الظُّلْمِ؛ وَمن الْحُكْمِ بغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ: قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولَقَدْ ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا قِصَّةَ ابْنَيْ آدَمَ، فَلَمَّا تَجَرَّأَ أَحَدُهُمَا لِيَقْتُلَ الْآخَرَ، قَالَ لَهُ: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾، ظُلْمٌ عَظِيمٌ فِي حَقِّ المَخْلُوقِ أَنْ تَقْتُلَهُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، أَوْ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَلْيَحْذَرِ المُسْلِمُ مِنَ الظُّلْمِ؛ حَتَّى نَفْسَكَ لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَظْلِمَهَا بِالشِّرْكِ، أَوْ تَظْلِمَهَا بِالْبِدَعِ، أَوْ تَظْلِمَهَا بِالمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

وَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا أَخْطَأَ، إِذَا ظَلَمَ، أَنْ يُبَادِرَ إِلَى التَّسَامُحِ وَالْإِرْضَاءِ لِلْمَظْلُومِ، وَأَنْ يُبَادِرَ إِلَى التَّوْبَةِ فِيمَا يَظْلِمُ فِيهِ نَفْسَهُ.

وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ سَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَيَجْنِي مَا عَمِلَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَأَنْعَمَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(٤٠)

* الكفَّاراتُ والدرجات[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

حَدِيثٌ عَظِيمٌ مِنْ أَحَادِيثِ الْمُصْطَفَى ﷺ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قال اللهُ تعالى: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكْرُوهَاتِ.

قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ،

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، شبوة.

قَالَ: سَلْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَتَعَلَّمُوهَا، وَادْرُسُوهَا».

رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وغيرُه وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وفي حديثِ ابنِ عباسٍ زاد: (مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِن: عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ).

حَدِيثٌ عَظِيمٌ؛ الْفِقْرَةُ الْأُولَى فِيهِ عَنِ الْكَفَّارَاتِ؛ أَيْ: مَا يَكُونُ سَبَبًا لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَمَحْوِ الزَّلَّاتِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَكِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مِنْ أَيْسَرِهَا وَأَعْظَمِهَا، وَلِأَنَّهَا تَتَكَرَّرُ كُلَّ يَوْمٍ؛ فَتَغْفِرُ ذَنْبَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِإِذْنِ اللهِ تعالى.

الْأُولَى: نَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ؛ خَمْسَ مَرَّاتٍ يَمْشِي إِلَى الْمَسْجِدِ، كُلُّ خُطْوَةٍ مِنْ خُطُوَاتِهِ يَغْفِرُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لَهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَيَمْحُو عَنْهُ بِهَا زَلَّةً.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»،

وفي لفظ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى

يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» رواه مسلم.

الثَّانِيَةُ: جُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مَا إِنْ يَفْرُغَ مِنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يَهُبَّ إِلَى الْخَارِجِ، وَرُبَّمَا جَلَسَ قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ يَتَحَدَّثُ، لَكِنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالصَّلَاحِ يُحِبُّونَ الْبَقَاءَ فِي الْمَسْجِدِ، يَعْمُرُونَهَا بِالتِّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ وَالتَّعْلِيمِ والتعلُّم.

وقال ﷺ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ.

الثَّالِثَةُ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكْرُوهَاتِ؛ أَيْ إِتْمَامُ الْوُضُوءِ فِي الْبَرْدِ الشَّدِيدِ والحرِّ، أَوْ وَقْتِ الْمَشَقَّةِ احْتِسَابًا لِلْأَجْرِ، يأتي بِهِ على أكْمَلِ وجهٍ رَجَاءَ أَنْ تُغْسَلَ ذُنُوبُهُ وَتَتَسَاقَطَ سَيِّئَاتُهُ.

وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ فَهِيَ أَيْضًا ثَلَاثٌ يَسِيرَاتٌ:

الْأُولَى: إِطْعَامُ الطَّعَامِ؛ بِالضِّيَافَةِ وَالصَّدَقَةِ لَا سِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ الْأَزَمَاتِ وَالْمَجَاعَاتِ، فبذل الطعامِ دلالةٌ على قوةِ الإيمانِ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ)؛ أَيْ: بُرْهَانٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِيمَانِ، وصلاحِ القلبِ.

وفي حديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ

كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا). حسنه الألباني.

الثَّانِيَةُ: لِينُ الْكَلَامِ؛ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الصَّالِحَةُ لَا سِيَّمَا فِي وَقْتِ الْغَضَبِ وَالْخُصُومَاتِ والفِتَنِ؛ فلا يثبُتُ على القولِ الطيبِ إلا رجلٌ عظيمٌ، وعبدٌ كريمٌ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

جاء رجلٌ إلى ابنِ عباسٍ فشَتَمهُ، فلما سكتَ قال ابنُ عباسٍ لخادِمِهِ: انظرِ الرجلَ لعلَّ لهُ حاجةً نقضيهِ لها. فاستحى الرجلُ وانصرفَ.

الثَّالِثَةُ: الصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ الصَّلَاةُ وَالذِّكْرُ فِي وَقْتِ الْغَفْلَةِ، وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ، وَهُوَ يَسْجُدُ وَيَرْكَعُ وَيَدْعُو ويسبحُ، فهذا دليلٌ على صلاحِهِ وتَقْواهُ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وأستغفر اللهَ العظيم.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

فَتَكْمِلَةُ الحَدِيثِ: (قَالَ: سَلْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ).

أَيْ: أَسْأَلُكَ أَنْ تُعِينَنِي عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، على الإقبالِ على ما يرضيكَ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا إِذَا أَعَانَ الْعَبْدَ فسيكونُ مِنَ الصَّالِحِينَ، ومنَ السائرينَ إلى جناتِ النعيمِ، وهو التوفِيقُ الذي يَخصُّ اللهُ تعالى بهِ من شاءَ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ: أَيْ: أَسْأَلُكَ أَنْ تُعِينَنِي عَلَى تَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، على الِابْتِعَادَ عَنِ المَعَاصِي والبدعِ والشركِ والضلالات.

فَإِنْ تَرَكَكَ اللهُ تعالى فَإِنَّكَ الْعَاجِزُ الذي لا يستطِعُ لنفسِهِ خيرًا، وَذَلِكَ هُوَ الْخِذْلَانُ المبينُ. والشرُّ المستَطِيرُ.

قال: وَحُبَّ المَسَاكِينِ: لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَكَبَّرُ ويتأففُ من مجالستِهم، وَالْكِبْرُ مَانِعٌ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ، وَلَكِنَّ مَنْ أَحَبَّ المَسَاكِينَ تَوَاضَعَ، واللهُ تعالى يحبُّ المتواضعين. قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَاضَعَ لِلهِ رَفَعَ اللهُ حِكْمَتَهُ.

وقال سلمانُ رضي الله عنه: تَوَاضَعْ لِلهِ ، فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلهِ رَفَعَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

قال: وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي: وَهَذِهِ الْغَايَةُ الْعُظْمَى التي بها النجاةُ والفوزُ في الدنيا والآخرةِ، قال تعالى عن الخليلِ عليهِ السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

قَالَ: وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ؛ فِتْنَةَ الشِّرْكِ أَوِ الْبِدَعِ أَوِ الْحُرُوبِ، فتنٌ تضرُّ المسلمَ في دينهِ؛ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الحَيَاةِ الَّتِي تَجُرُّهُ إِلَى الْفِتَنِ.

قَالَ: وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ: أَيْ: أَنْ تَمْلأَ قَلْبِي بِحُبِّكَ، ومنْ أحبَّ اللهَ تعالى بصدقٍ وجد حلاوةَ الإيمانَ في قلبه، كما قال ﷺ: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) متفق عليه.

وَدَلِيلُ المَحَبَّةِ التوحيدُ والاتِّبَاعُ؛ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ .

قَالَ: وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ: مَحَبَّةً فِي اللهِ تعالى، وقد قَالَ اللهُ فِي الحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: (وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ).

قَالَ: وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ: فَمَنْ أَحَبَّ الصَّالِحَاتِ فَهَنِيئًا لَهُ، فإِنَّ المحبةَ هي القائدُ إلى الله تعالى، إذا امتلأ قلبُكَ بحبِّ الفرائضِ والنوافلِ فلن تملَّ من الطاعاتِ، وبالمقابلِ فلن يبقى في قلبِكَ رغبةٌ للذنوبِ والسيئاتِ.

ثُمَّ خَتَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: «إِنَّهَا حَقٌّ»

لِأَنَّهُ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ .

ثُمَّ حَثَّ عليها فَقَالَ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَتَعَلَّمُوهَا، وَادْرُسُوهَا»، احْفَظْهَا، وحَفِّظْ أَوْلَادَكَ وَزَوْجَتَكَ وبناتِك، فَإِنَّ التَّعْلِيمَ وَالدَّعْوَةَ هِيَ التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ.

وفي حديثِ ابنِ عباسٍ زاد: (مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِن: عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)، ومع أن هذه الأعمالَ ميسورةٌ للناسِ إلا أنكَ تجدُ الكثيرَ يتكاسلُ عنها، فنسألُ اللهَ تعالى العونَ والسدادَ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

****

(٤١)

*وصايا يحيى عليه السلام[1] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

إِنَّ مِنْ خَيْرِ الْوَصَايَا وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ وَفِي الْمُسْنَدِ والترمذي مِنْ حَدِيثِ الحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ.

فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، شبوة.

وَأَدِّ إِلَيَّ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يحبُّ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؟

هَذِهِ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى الَّتِي وَجَّهَهَا نَبِيُّ اللهِ يَحْيَى ﷺ إِلَى قَوْمِهِ، وَالْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ هُوَ دِينُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، بِدَلِيلِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

فما بعثَ الله تعالى نبيًّا ولا رسولًا إلا كان من أهمِّ وصاياه وأوامرِهِ لقومِهِ أن يوحدوا الله تعالى، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

فَإِنَّ الشِّرْكَ بِاللهِ أَعْظَمُ سَيِّئَةٍ، بَلْ هُوَ السَّيِّئَةُ الَّتِي لَا تَمْحُوهَا الْحَسَنَاتُ وَلَا تَغْفِرُهَا الصَّالِحَاتُ إِنْ مَاتَ الْعَبْدُ عَلَيْهَا؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

فَالشِرْكُ سَيِّئَةٌ كُبْرَى مَهْمَا قَدَّمَ وَمَهْمَا عَمِلَ لم ينتفعْ.

كَانَ رَجُلٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ "ابْنُ جُدْعَانَ" كَانَ كَرِيمًا مِعْطَاءً، حَتَّى إِنَّهُ يُعْطِمُ الطَّعَامَ فِي الْأَسْوَاقِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: (لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ). لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فَلم تَنْفَعْهُ حَسَنَاتُهُ فِي الآخرةِ.

عبدٌ خلقَهُ الله تعالى ورزقَهُ ثم يعبدُ غيرَ اللهِ تعالى، ويذهبُ إلى السحرةِ والقبورِ، ويطلبُ منهم الشفاءَ والرزقَ وتفريجَ الكربات، بئس الحالُ والمآل.

وَالْوَصِيَّةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ: (وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ).

اللهُ جَلَّ وَعَلَا يُحِبُّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَبْدِهِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَإِذَا تَشَاغَلَ بِأَمْرٍ آخَرَ، او أكثرَ الالتفاتَ صرَفَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَظَرَهُ عنهُ؛ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُحَسِّنَ صَلَاتَهُ ما استطاعَ إلى ذلكَ سبيلًا، وَإِنَّ مَعْرِفَةَ أَحْكَامِ الصَّلَاةِ وَاجِبٌ عَيْنِيٌّ لَا يُعْذَرُ الْمُسْلِمُ بِتَرْكِهِ معَ إمْكَانِ التعليمِ.

وَالْوَصِيَّةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ: (وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ).

الصِّيَامُ رَائِحَتُهُ جَمِيلَةٌ وَمَحْبُوبَةٌ إِلَى اللهِ تعالى؛ لِأَنَّهُ عَمَلٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، والرغبَةِ فيما عندَ اللهِ تعالى، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ ابْتِغَاءَ الْأَجْرِ والثوابُ منَ اللهِ تعالى، فهذا تُضاعفُ لهُ الحسناتُ، وتُرْفَعُ له الدَّرجاتُ.

ومن أكثرَ من صيامِ النوافلِ كانَ أسرعَ في صيامِ الواجباتِ.

وَالْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: قَالَ: (وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ).

الإنسانُ محبوسٌ عن خيرٍ كثيرٍ؛ فكُلَّمَا أَعْطَى فَكَّ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ قُيُودِهِ، لَا سِيَّمَا قُيُودِ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

وَالْوَصِيَّةُ الخَامِسَةُ: قَالَ: (وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ).

ذِكْرُ اللهِ تعالى حِصْنٌ حَصِينٌ، يُحْيِي اللهُ تعالى بِهِ الْقَلْبَ، ويطَيِّبُ النفسَ، ويُنَشِّطُ البدنَ على طاعةِ اللهِ تعالى، كما قال ﷺ: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ).

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَايَا يَحْيَى، قَالَ: (وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ؛ أَمَرَنِي اللهُ بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ) قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ الله عَزَّ وَجَلَّ».

الوصيةُ الأولى: الجَمَاعَةُ: أَيْ: لُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ؛ فإن الاجتماعَ على الحقِّ من رحمةِ الله تعالى بالعبادِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾. فإذا رأيتَ قومًا اجتمعوا على كتابِ ربهم تعالى وسنةِ نبيهم ﷺ فاعلمْ أنهم أمةٌ مرحومةٌ، أرادَ اللهُ تعالى بها خيرًا،

ووفقهم لأعظمِ الحسناتِ، وهي الاجتماعُ على العقيدةِ الصحيحةِ التي تُرْضي ربَّ الأرضِ والسماواتِ.

فَالتَّفَرُّقُ فِي الدِّينِ عَلَامَةُ شَرٍّ وبُعْدٍ عن اللهِ تعالى، قَالَ اللهُ جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

والفرقةُ عن الحقِّ من صفاتِ المشركينَ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

الفرقةُ تفرحُ الشيطانَ، وتُغضِبُ الرحمنَ.

الثانية والثالثة: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَقُومُ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى دينٍ واحدٍ ووَلِيِّ أَمْرٍ وَاحِدٍ، فإذا كثُرَ الولاةُ كثرَ الفسادُ والفتنُ، وتسلطَ الأعداءُ، وضعُفَ الدينُ، ولم تنتشرْ البدعُ في الإسلامِ إلا حينَ انتشر النزاعُ والاختلافُ على ولاةِ الأمرِ.

وَفِي تجاربِ القرونِ الماضية تقررَ أنهُ: مَا خَرَجَ أَحَدٌ عَلَى سُلْطَانِهِ إِلَّا وَجَاءَ بِشَرٍّ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ السُّلْطَانِ.

الرابعة: الْهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ الَّذِي لَا تَقْدِرُ أَنْ تُظْهِرَ دِينَكَ فِيهِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ؛ تعزِّزُ فيه إخوانَكَ وتُكثِرُ سوادَهم، وتكونُ ناصرًا لهمْ على عدوهِم، وتَبْتَعِدُ عَنْ أَهْلِ الْكُفْرِ لِئَلَّا تَتَأَثَّرَ بِأَخْلَاقِهِمْ وعقيدتِهم، فَمُجَالَسَةُ الْكُفَّارِ أَشَدُّ فَسَادًا

وضررًا من جَليسِ السوءِ، بل هم رأسُ جُلساءِ السوءِ.

الخامسة: الْـجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ تعالى: فَإِنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الْمُجَاهِدِينَ؛ فمن رُزِقَ الجهادَ فقد رُزِقَ حسنةَ عُظمى، قَالَ ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ» رواه البخاري.

قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى وهو يصفُ عزةَ المسلمين زمنَ كثرةِ جهادِهم، (فكانت سوقُ الجهاد قائمةً في بنى أميةَ ليس لهم شغلٌ إلا ذلك، قد علتْ كلمةُ الإسلامِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، وبرِها وبحرِها، وقد أذلوا الكفرَ وأهلَه، وامتلأتْ قلوبُ المشركينَ من المسلمينَ رعبًا، لا يتوجه المسلمون إلى قطرٍ من الأقطارِ إلا أخذوهُ، وكان في عساكرِهم وجيوشِهم في الغزوِ الصالحون والأولياءُ والعلماءُ من كبارِ التابعين، في كلِّ جيشٍ منهم جماعةٌ عظيمةٌ ينصرُ اللهُ بهم دينَه].

أَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَرْزُقَنَا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، وَالشَّهَادَةَ فِي مَرْضَاتِهِ.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله العظيم.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

****

(٤٢)

* أربعُ مسائلَ مُهمة[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَرْبَعَ مَسَائِلَ مُهِمَّة، دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَقَالَ بِهَا سَلَفُ الْأُمَّةِ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الله، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

وَالثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ. وَالثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. وَالرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

هَذِهِ الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعُ تَحْمِلُ مَعَانِيَ عَظِيمَةً، وَلَهَا أَثَرٌ نَافِعٌ عَلَى مَنْ يَعْمَلُ بِهَا.

وسنشرحُها في هذه الخُطبةِ باختصارٍ مُفيد.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، شبوة.

أَوَّلُـهَا: الْعِلْمُ، وَالْعِلْمُ هُوَ أَسَاسُ الدِّينِ، وَالْعِلْمُ هُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، الْعِلْمُ شَرَفٌ فِي الدُّنْيَا وَرِفْعَةٌ فِي الْآخِرَةِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَــــالَ رَسُولُهُ   قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أُولُو الْعِرْفَانِ

الْعِلْمُ كِتَابٌ وَسُنَّةٌ، آيَةٌ وَحَدِيثٌ على فهمِ السلَفِ.

ونحنُ مأمورونَ أنْ نحْفَظَ العلمَ، وأن نفهَمَهُ كما فهِمَهُ الصحابةُ والسلفُ رضي اللهُ عنهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وَأَفْضَلُ الْعِلْمِ وَأَرْفَعُهُ دَرَجَةً وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةً: الْعِلْمُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ مَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ وَنِعَمِهِ وَآيَاتِهِ.

فَمَنْ عَرَفَ اللهَ جَلَّ وَعَلَا فَهُوَ المحبوبُ إلى اللهِ تعالى، وهوَ أَعْظَمُ دَرَجَةً فِي الجَنَّةِ، وهوَ العبدُ الموفقُّ لِمرضاتِ اللهِ تعالى.

العلمُ باللهِ تعالى شريفٌ؛ لأن شرفَ العلمِ بشرفِ المعلومِ، فعلمٌ يتحدَّثُ عن اللهِ تعالى، وأسمائهِ وصفاتِهِ، صفاتِ الذاتِ وصفاتِ الفعلِ، فما ظنكَ بشرفِ هذا العلم! ومعرفة اللهِ تعالى واجبٌ عيني على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

تعرَّف على ربوبيةِ الله تعالى وألوهيتِهِ، وَأَنَّهُ الخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدبِّرُ، وَالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ هُوَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

ومَعْرِفَةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ هِيَ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ شَيْئًا عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، عَنْ دَعْوَتِهِ وَسِيَرِهِ وَحَيَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَعِبَادَتِهِ. فالحرصُ على معرفةِ نبيكَ ﷺ دليلٌ على حُبِّهِ، ومن أحبَّ اللهَ تعالى ورسولَهُ ﷺ كانَ يومَ القيامةِ مع من أحبَّ.

عَاشَ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً فِي مَكَّةَ يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ الله تعالى، وَإِلَى الْأَخْلَاقِ وَالْعِبَادَةِ؛ قَالَ قَيْصَرُ لِأَبِي سُفْيَانَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: (اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ). فكانت دعوتُهُ ﷺ إلى التوحيدِ، والاتباعِ، والعبادةِ، الأخلاقِ والعدلِ والإنصاف، ونحو ذلك، استمرَّ على هذه المحاسنِ حتى هاجر.

وبعدَ هجرتِهِ رسَّخَ قواعدَ التوحيدِ والعبادةِ، والأخوَّةِ والنصرةِ، والجهادِ في سبيلِ الله تعالى...

وَمَعْرِفَةُ الْإِسْلَامِ؛ وَهُوَ الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الِاسْتِسْلَامِ لله جَلَّ وَعَلَا بِالتَّوْحِيدِ، وَإِلَى سَلَامَةِ الْعَمَلِ مِنَ الشِّرْكِ وَمِنَ الْبِدَعِ؛ فَلَا إِسْلَامَ إِلَّا بِتَوْحِيدٍ وَسُنَّةٍ. الإسلامُ صيامٌ صلاةٌ، وحجٌّ وزكاةٌ.

الإسلامٌ إيمانٌ وإحسانٌ، الإسلامُ اعتقادٌ صحيحٌ وسيرٌ مستقيمٌ.

الإسلامُ دينٌ جميلٌ فمن تخلَّقَ بأخلاقِهِ جمَّلَهُ اللهُ تعالى بجمالِ الإسلام.

وما أكثرَ الذين إذا قرأوا في محاسنِ الإسلامِ ومزاياهُ وفضائِلِهِ يسلمونَ، ولو لم يدعوهُم إلى الإسلامِ أحدٌ.

الإسلامُ سلامةٌ في الدنيا، ونجاةٌ في الآخرة.

دِينٌ عَظِيمٌ سَهْلٌ سَمْحٌ مُبَارَكٌ، مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ أَعَزَّهُ اللهُ تعالى، وَمَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ أَذَلَّهُ اللهُ جل وعلا.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ تعالى.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ؛ أَي: الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْعَمَلِ، وَالْقُرْآنَ الكريمُ نَزَلَ لِيُعْمَلَ بِهِ، وَالسُّنَّةَ جَاءَتْ لِيُعْمَلَ بِهَا؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾.

وَدُخُولُ الجَنَّةِ سَبَبُهُ الْعَمَلُ الصالحُ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَـهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

اعْمَلْ فَإِنَّ الْعَمَلَ نَجَاةٌ مِنَ النَّارِ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

اعْمَلْ فَإِنَّ الْعَمَلَ سَبَبُ المَغْفِرَةِ والرِّفعةِ؛ قال ﷺ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

الْفَارِقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ هُوَ الْعَمَلُ؛ المؤمنُ يعلمُ ويعملُ، والمنافقُ إن علمَ فلا يعملُ، وإن عملَ فبالكسلِ والوهنِ، قال ﷺ (أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ)، وقد قال اللهُ تعالى عنهم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ؛ أَي: الدَّعْوَةُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّعْوَةُ وَالتَّعْلِيمُ هِيَ التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ، الحسناتُ الجاريةُ كالنهرِ الـمُتدَفِّق؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ﴾، فهو أحسنُ قولًا، وهو أحسنُ أجرًا ومنزلةً.

وفي الحديث: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى فَلَهُ أَجْرُهُ وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

(مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ)...

وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ سَعَى إِلَى إِصْلَاحِ النَّاسِ، ومن تصدَّقَ بعلمٍ نافعٍ، وَلَا صَدَقَةَ أَعْظَمُ وَأَنْفَعُ وأرفَعُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، ودعوةِ الناسِ إلى صلاحِ الدينِ والدنيا والآخرة.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ؛ الْعِلْمُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، ما أكثرَ الذين يختارونَ حملَ الأحجارِ، ورعيَ الأغنامِ، ومشاقَ الأعمالِ: على طلبِ العلم.

يرى ذلك أهون عليه، فالعلمُ عملُ الأبطالِ وأهلِ الصبر.

وَالْعَمَلُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وما أكثرَ الذين ينشطونَ أولَّ الأعمالِ ثم يَنقطِعُون لِقلةِ صبرِهِم وضَعفِ إيمانِهِم.

وَكَذَلِكَ الدَّعْوَةُ تَلْقَى فيها الْمُوَافِقَ وَالْمُخَالِفَ، والمناصِرَ وَالْمُؤْذِيَ؛ فَلَا بُدَّ لَكَ فِيهَا مِنْ صَبْرٍ.

ولو كنتَ تدعو في بيتِكَ فلا غنى لكَ عن الصبرِ في دعوتِهم.

وبالصبر واليقينِ تُنالُ الإمامةُ في الدين.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعِ قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: فأقسم سُبْحَانَهُ على خُسرانِ نوعِ الْإِنْسَانِ إِلَّا من كمَّلَ نَفسَهُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالح، وكمَّلَ غيرَه بوصيتِهِ لَهُ بهما، وَلِهَذَا قَالَ الشَّافِعِي رَحمَه الله تعالى: لَو تدبَّرَ النَّاس فِي سُورَة الْعَصْر لكفتهم.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

****

(٤٣)

* فوائد المساجد [١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

إنَّ مِنْ أَوْلَوِيَّاتِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ: بِنَاءَ الْمَسَاجِدِ.

فَإِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ بَدَأَ فِي أَوَّلِ هِجْرَتِهِ بِبِنَاءِ مَسْجِدِ قُبَاءٍ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَنَى الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ؛ لِأَنَّ بِنَاءَ الْمَسَاجِدِ شَعِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ .

من أوَّلِ يومٍ أيامِ الاسلامِ بعدَ الهجرةِ.

وَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الْعَظِيمَةُ يَنْبَغِي أَنْ يُهْتَمَّ بِهَا كَمَا يُرِيدُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلكَ بتَفْعيلِ عِمارةِ المساجدِ بمقاصدِها الكُبرى، ومنها:

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، المكلا.

أَنْ تُعْمَرَ المساجدُ بِتَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

فَالْمَسَاجِدُ بُنِيَتْ لِإِعْلَانِ التَّوْحِيدِ وَلِتَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ، وَلِإِعْدَادِ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَنْشُرُونَ التَّوْحِيدَ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾.

فَالْمَسْجِدُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَوْضِعًا لِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولَا يجوزُ أن يَكُونَ فِيهِ شِرْكٌ وَلَا بِدَعٌ وَلَا مَعَاصٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُخَالِفُ الْمَقْصِدَ الْأَكْبَرَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ.

وَمِنْ عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ: أَنْ تُعْمَرَ بِذِكْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا﴾، ولِهَذَا كَانَ السَّلَفِ يَعْمُرُونَ الْمَسَاجِدَ فِي أَوْقَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ بِالطَّاعَاتِ وَالذِّكْرِ وَالْعِبَادَاتِ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: خَمْسٌ كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ...

وَذَكَرَ: (عِمَارَةُ الْمَسَاجِدِ).

وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾. فَالْمَسَاجِدُ رُفِعَتْ وَبُنِيَتْ وَأُسِّسَتْ لِذِكْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى المَسْجِدِ فَجَلَسَ ثُمَّ قَامَ فَبَالَ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ، فَلَمَّا انْتَهَى دَعَاهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ».

وَمِنْ عِمَارَةِ المَسَاجِدِ: أَنْ تُعْمَرَ بِتَعْلِيمِ وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَهَمِّ المَقَاصِدِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُحْيَا بها المَسَاجِدُ في أوقاتٍ كثيرة.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: (مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ، تَامًّا حَجَّتُهُ). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا، يَتَعَلَّمُ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمُهُ، كَانَ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَالنَّاظِرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ» حسنه الألباني.

وقال كما في مسلم: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ.

يجتمعونَ يَتعلَّمونَ كيفَ يَقرأونَ القرآنَ الكريمَ قراءةً صحيحةً، ولو من المصحف.

وما أكثرَ الناسَ والمسلمينَ وكبارَ السنِّ الذينَ أمضوا عشراتِ السنينَ ولا يُحْسِنونَ أنْ يَقرأوا القرآنَ منَ المصحفِ. ولو جلسوا بعضَ الوقتِ في المسجدِ وقرأوا مع معلمٍ لما مرتْ عليهِمْ سنةٌ حتى يحسنوا تلاو كتابِ الله سبحانه وتعالى.

وخَرَجَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى السُّوقِ فَنَادَى فِيهِمْ: مَا أَعْجَزَكُمْ! قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقْسَمُ، وَأَنْتُمْ هَاهُنَا لَا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ، قَالُوا: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي الْمَسْجِدِ. فَخَرَجُوا سِرَاعًا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟

قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا، فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا يُقْسَمُ.

قَالَ: أَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ قَالُوا: بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَاكَرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ.

فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَيْحَكُمْ، فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى هَذَا الْإِرْثِ الْعَظِيمِ:

عِلْمٌ، تَعْلِيمٌ، وَدَعْوَةٌ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونشرٌ للخيرِ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيم.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

وَمِنْ عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ: أَنْ تُعْمَرُ بِعِبَادَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإنَّ المؤمنَ يرغَبُ في كثرةِ العبادةِ في بيوتِ اللهِ عز وجل؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

وقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾. فَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَرَدَّدُ عَلَى الْمَسَاجِدِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْهِدَايَةِ وَالْإِيمَانِ، وأنهُ يحملُ خيرًا كثيرًا لِنَفْسِه ولِغيرِهِ.

والمؤمنُ والمسلمُ إذا جاءَ إلى المسجدِ وجدَ من لَذَّةِ الصلاةِ ومن لذةِ العبادةِ ما لا يجدُ في بيتِهِ ولا في سُوقِهِ، فينبغي للمسلمِ أنْ يَغْتنمَ الفُرصةَ وأنْ يُكثرَ من عبادةِ اللهِ جل وعلا في المسجد.

وَمِنْ عِمَارَةِ المَسَاجِدِ: أَنْ تُصَانَ عَمَّا يُخَالِفُ مَقَاصِدَهَا الشَّرْعِيَّةَ.

فعَظَمَةُ المَسَاجِدِ وَحُرْمَتُهَا كبيرةٌ، فيَجِبُ أَنْ تُصَانَ عَمَّا يُخَالِفُ مَقَاصِدَهَا الشَّرْعِيَّةَ؛

وَمِنْ المخالفاتِ في ذلك:

أَنْ يُنْشَرَ فِيهَا الشِّرْكُ وَالْبِدَعُ.

فإنَّ أُناسًا أدخلُوا الوثَنيّةَ إلى بيوتِ اللهِ سبحانه وتعالى، وكانتْ قريشٌ قدْ نَصَبتْ أكثرَ من ٣٠٠ صنم في المسجدِ الحرامِ، وهكذا على طرِيقِهِم سارَ بعضُ الناسِ فأدخلُوا الْقُبُورَ إِلَى المَسَاجِدِ، وَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ تعالى بِالدُّعَاءِ وَالنَّذْرِ، والخشيةِ والمحبةِ والرهبةِ، والاعتقاداتِ الباطلَةِ.

فمنهُم مَن يَعتقدُ أنَّ صاحبَ القبرِ يُحيي ويُميتُ، ويُعطي ويَرزقُ، وَيُدَبِّرُ الْكَوْنَ! إلى غَيرِ ذلكَ مما لَمْ يكنْ حتى عندَ أبي جَهلٍ وأبي لهبٍ، وهذا فسادٌ وخرابٌ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾، وَأَعْظَمُ الخَرَابِ أَنْ تَتَحَوَّلَ المَسَاجِدُ الَّتِي بُنِيَتْ لِلتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ إِلَى الْبِدَعِ وَالشِّرْكِ بِاللهِ تعالى، وَالرَّقْصِ، وَالِاجْتِمَاعَاتِ الْحِزْبِيَّةِ.

كَذَلِكَ تُصَانُ الْمَسَاجِدُ عَنِ الزَّخَارِفِ وَالْمُبَاهَاةِ؛ فَالْمَسَاجِدُ مَحَلُّ سَكِينَةٍ وعبادةٍ، لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْمُلْهِيَاتِ؛ وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ).

يتباهى الناسُ في المساجدِ فيُكثرونَ الألوانَ والزَّخْرَفةَ وما أشبه ذلك.

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ).

دمارٌ وهلاكٌ لأنَّ الناسَ إذا بلغُوا هذا المستوى عَرفْتَ أنهُم يَهْتَمُّونَ بالمظاهِرِ لا بالجَواهِرِ، وبالدعاياتِ لا بالحَقائِقِ.

ينظرُ بعضُ الناسِ ما يقولُ الناسُ ما يَمْدحُونَ وما يُثْنونَ، ولم يَنظرْ ما هُو الذي يُرْضي اللهَ سبحانه وتعالى.

وقال ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَتُزَخْرِفُنَّ مَسَاجِدَكُمْ كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مَسَاجِدَهُمْ. فهذِهِ عادةٌ غيرَ شرعيةٍ ولا مرضيَّةٍ.

وَتُصَانُ المَسَاجِدُ عَنِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَرَفْعِ الْأَصْوَاتِ.

فَقَدْ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُنَادِي: مَنْ رَأَى لِي الجَمَلَ الْأَحْمَرَ؟ فَقَالَ: «لَا وَجَدْتَ، إِنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ».

وفي رواية: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وَقَالَ: (إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ).

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُعْطِيَ لِلْمَسْجِدِ قِيمَتَهُ؛ فَهُوَ المَكَانُ الَّذِي فِيهِ التَّوْحِيدُ وَالْعِلْمُ والعبادةُ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الرَّايَاتُ الَّتِي بَلَغَتِ المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٤٤)

* من فَوَائِدِ الِاسْتِغْفَارِ[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

الأول: الْعِلْمُ: وَبِهِ يُرْفَعُ الجَهْلُ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ وَبَلِيَّةٍ.

فما أشركَ المشرِكُ ولا ابتدَعَ المبتدِعُ ولا عَصى العاصِي إلا بِسببِ الجهلِ.

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، المكلا.

والثاني: أمرَ بِتَعلُّمِ توحيدَ الله تباركَ وتعالى، وَفَهْمِ مَعْنَى شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ وَمُقْتَضَاهَا؛ وَأَنَّهُ لَا يُعْبَدُ بِالحَقِّ إِلَّا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَمَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ صَنَمٍ أو حجَرٍ أو شجرٍ، أو نبيٍّ أو وليٍّ أَوْ قَبْرٍ فَتِلكَ عبادةٌ باطلةٌ؛ قَالَ اللهُ جلَّ وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. والباطِلُ ضررٌ على صاحِبِهِ في الدنيا والآخرةِ.

والثالثُ: أمرَ اللهُ جلَّ وعلا بالاستغفار، والاستغفارُ شأْنُهُ عَظيمٌ، وحاجَةُ المسلمِ إليهِ أكيدَةٌ.

فَبِالْعِلْمِ يُمْحَى الجَهْلُ، وَبِالتَّوْحِيدِ يُمْحَى الشِّرْكُ، وَبِالِاسْتِغْفَارِ تُمْحَى الذُّنُوبُ.

فهذِهِ ثلاثةٌ تتعلقُ بها سعادةُ العبدِ في الدنيا والآخرةِ.

وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تعالى بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي آيَاتٍ عِدَّةٍ.

ومِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ ذِي النُّونِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. فجَمَعَ اللهُ تعالى بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

وقال اللهُ تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

فَبِالتَّوْحِيدِ تُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وَبِالِاسْتِغْفَارِ تُمْحَى الزَّلَّاتُ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ فِي دُعَاءِ الِاسْتِفْتَاحِ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فيقول: (...اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ

خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ).

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ»، رواه أبو داود وصححه الألباني.

وَكَذَلِكَ فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ جمعَ بينهما، فقال: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: قِوَامُ الدِّينِ بِالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

معاشرَ المسلمين! الِاسْتِغْفَارُ لَيْسَ خَاصًّا بِالْمُذْنِبِينَ بَلِ الصَّالِحُونَ أَوْلَى بِهِ؛ فَهَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ كما قال اللهُ تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وَنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.

وموسى عليهِ السلامُ يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالى عن داودَ عليه السلامُ: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ، وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ». رواه أحمد.

وقال ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

وهؤلاءِ الصالحونَ يُكْثِرونَ منَ الاستغفارِ؛ كما في سورةِ الذارياتِ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. فمع صلاحِهم وصلاتِهم كانوا يسْتَغفرُونَ اللهَ تعالى بالليلِ والنهارِ.

وَالِاسْتِغْفَارُ ليسَ خاصًّا بِالمعاصي بلْ يَكُونُ بَعْدَ الطَّاعَاتِ أيضًا لِجَبْرِ النُّقْصَانِ ودَفْعِ الغُرورِ؛ فَنَبِيُّنَا ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ: (أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ).

وكان إذا رجعَ من الجهادِ والحجِّ والعمرةِ يقول: (آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ)، فيعلنُ بالتوبةِ بعدَ عملِ الصالحاتِ.

وَالِاسْتِغْفَارُ بَعْدَ المَعْصِيَةِ آكَدُ؛ قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

وَفِي الحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: (قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي). رواه الترمذي.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيم.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ!

فثَمَرَةُ الِاسْتِغْفَارِ عَظِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ منها كثرةُ الخيراتِ واتساعُ الأرزاقِ، قَالَ اللهُ عَنْ نبيهِ نُوحٍ عليه السلام: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا».

وَبِالاسْتِغْفَارِ يَدْفَعُ اللهُ المَصَائِبَ وَالعَذَابَ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَمِنْ كُلِّ بَلَاءٍ عَافِيَةً.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللهَ جَلَّ وَعَلَا بِخَيْرٍ كَثِيرٍ فَلْيَمْلَأْ صَحِيفَتَهُ بِالاسْتِغْفَارِ.

عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسُرَّهُ صَحِيفَتُهُ، فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ) رواه الطبراني وصححه الألباني.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الاسْتِغْفَارُ خَاصٌّ بِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَلَا يُقْبَلُ اسْتِغْفَارُ الْمُشْرِكِ وَلَا الاسْتِغْفَارُ لِلْمُشْرِكِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

فَلَا يَجُوزُ الاسْتِغْفَارُ لِمُشْرِكٍ سَوَاءً كَانَ يَعْبُدُ صَنَماً، أَوْ كَانَ عِلْمَانِيّاً، أَوْ اشْتِرَاكِيّاً، أَوْ شُيُوعِيّاً، أَوْ كَانَ عَابِدَ قَبْرٍ، أَوْ سَاحِراً، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الأَصْلِيِّينَ أَوِ الْمُرْتَدِّينَ؛ فَكُلُّهُمْ لَا يَجُوزُ الاسْتِغْفَارُ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلاً لِلاسْتِغْفَارِ.

وَمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ كَانَ اسْتِغْفَارُهُمْ مَرْدُوداً عَلَيْهِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أَيْ: مَا لِلْمُشْرِكِينَ وَالكَافِرِينَ مِنْ شَفِيعٍ، وَالدُّعَاءُ وَالاسْتِغْفَارُ مِنْ بَابِ الشَّفَاعَةِ فلا يصحُّ إلا لأهلِ التوحيد.

وَإِنَّمَا سُنَّ الاسْتِغْفَارُ لِلْمُؤْمِنِينَ المُوَحِّدِينَ؛ في حياتهم، كما قال تعالى: ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

وإِذَا دُفِنَ المُسْلِمُ المُوَحِّدُ يُسْتَغْفَرُ لَهُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ».

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً».

فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(٤٥)

** التاريخُ الهجري هويةٌ إسلاميةٌ[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

قَالَ جَمْعٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا خَلَقَ الشُّهُورَ اثني عشر شهرًا قمريًا، فهي العدةُ التي تحسبُ بها الشهورُ والسنينَ، وليستْ بالأشهرِ الشَّمسيةِ والعَجَميةِ.

وَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُسْلِمِينَ بِـالتَّارِيخِ الْهِجْرِيِّ.

وَنَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، شبوة.

وَالتَّارِيخ الْهِجْرِيّ وقع بِإِجْمَاعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وَقَدْ جَاءَ بأَسَانِيدَ مُسْتَفِيضَةٍ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَاوَرَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: مِنْ أَيِّ وَقْتٍ يَبْدَأُ التَّارِيخُ؟ فَاخْتَارُوا مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ، وَسَارَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَنِ إِلَى زَمَانِنَا.

وفِي زَمَانِنَا هَذَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لا يزالُ للتاريخِ الهجري قيمتَهُ، وبعضُهم تأثر بالاستعمارِ واتخذَ التاريخَ العَجمي الميلادي.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الشَّمْسَ لِحِسَابِ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ وَالْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ.

وَجَعَلَ الْقَمَرَ لِحِسَابِ الْأَسَابِيعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسَّنَوات.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦] أَيْ: لِيُحْسَبَ بِهَا الْوَقْتُ.

فَيُحْسَبُ الشَّهْرُ بِالْقَمَرِ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ فَبِمَنَازِلِ الْقَمَرِ تُعْرَفُ الْأَشْهُرُ وَتُعْرَفُ السَّنَوَاتُ.

وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْتَمِدُوا مَا أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهِ مِنَ اعْتِمَادِ الْأَشْهُرِ الْقَمَرِيَّةِ، لِأَنَّ لِذَلِكَ تَعَلُّقًا بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ أَنَّ ابْتِدَاءَ الْعَامِ لَيْسَ إِلَّا يَوْمًا مِنْ جُمْلَةِ الْأَيَّامِ، فَالِاحْتِفَالُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَتَعْطِيلُ الْأَعْمَالِ وَتَعْطِيلُ الدِّرَاسَاتِ فِيهِ تَشَبُّهٌ بِالْكُفَّارِ، واعتقادُ أن الأعمالَ ترفعُ آخرَ العامِ لا دليلَ عليهِ.

وتخصيصُ عبادةٍ لختمِ العامِ بها لَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ.

كَمَا أَنَّ تَخْصِيصَ آخِرِ الْأُسْبُوعِ أَوْ آخِرِ الشَّهْرِ أَوْ آخِرِ الْعَامِ لِمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ لَيْسَ مِمَّا عَلَيْهِ دَلِيلٌ، لِأَنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَالْمُسْلِمُ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

❋❋❋❋

(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾.

ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ هَذَا عَامٌّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ، يُنْظَرُ فِيهَا إِلَى الْأَشْهُرِ الْقَمَرِيَّةِ وَالتَّارِيخِ الْهِجْرِيِّ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ الخَمْسَةَ تَتَعَلَّقُ بِالتَّارِيخِ الْهِجْرِيِّ أَوْ بِالْأَشْهُرِ الْقَمَرِيَّةِ:

أَوَّلًا: التَّوْحِيدُ: فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ نَظَرُوا فِي التَّارِيخِ، فَاخْتَارُوا يَوْمَ مُفَارَقَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهِجْرَةِ، وتأَسَسَتْ دَوْلَةُ التَّوْحِيدِ، فجعلوهُ التاريخَ المختار، فَلِذَلِكَ التَّارِيخُ الْهِجْرِيُّ رَمْزٌ مِنْ رُمُوزِ التَّوْحِيدِ.

ثَانِيًا: الصَّلَاةُ: فَإِنَّ بعضَ مَوَاقِيتَ الفرائضِ والنَّوَافِلِ مُرْتَبِطَةٍ بالتوقيتِ الهجري، كصَلَاةِ الْعِيدَيْنِ.

وتحديدِ سنِّ ابتداءِ الصلاةِ للأطفالِ يكونُ بالسنواتِ الهجريةِ، كما في حديثِ عبدِ الله بن عمرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» رواه أبو داود وغيره.

ثَالِثًا: الزَّكَاةُ: فَإِنَّ إِخْرَاجَ الزَّكَاةِ مؤقتٌ بِـمُرُورِ الحَوْلِ، وهو المَقصودُ في حديثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَإِذَا كَانَتْ لَكَ مِائَتَا دِرْهَمٍ، وَحَالَ عَلَيْهَا الحَوْلُ، فَفِيهَا خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ - يَعْنِي - فِي الذَّهَبِ حَتَّى يَكُونَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا، فَإِذَا كَانَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا، وَحَالَ عَلَيْهَا الحَوْلُ، فَفِيهَا نِصْفُ دِينَارٍ، فَمَا زَادَ، فَبِحِسَابِ ذَلِكَ». وَالحَوْلُ فِي الشَّرْعِ هُوَ السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ الْهِجْرِيَّةُ، وَلَيْسَتِ السَّنَةَ الشَّمْسِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا نَحْوُ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، وَاعْتِمَادُ التَّارِيخِ الْعَجَمِيِّ يُضِيعُ حَقَّ الْفُقَرَاءِ مَعَ مُرُورِ السِّنِينَ، لأنَّ كلَّ ثلاثٍ وثلاثونَ سنةً شمسيةً تقابلُ اثنتينِ وثلاثين من الهجري.

رَابِعًا: الصِّيَامُ: وَهُوَ أَوْضَحُهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾،

ورمضانُ منَ الأشهرِ الهجريةِ.

ويبدأ برؤيةِ القمرِ أولَ أيامِهِ، قال ﷺ: (صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ) متفق عليه؛ فَلَا يَعْرِفُ الْمُسْلِمُونَ فَرِيضَةَ الصَّوْمِ إِلَّا بِالْأَهِلَّةِ وَالتَّارِيخِ الْهِجْرِيِّ.

خَامِسًا: الحَجُّ: وَهُوَ الرُّكْنُ الخَامِسُ؛ ﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾، وَهِيَ: شَوَّالٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ.

ولَا قِيَامَ لِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْعَظِيمَةِ إِلَّا بِحِفْظِ التَّارِيخِ الْهِجْرِيِّ، وَمَعْرِفَةِ دُخُولِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وهيَ أشهرٌ قمريةٌ.

سادسًا: الطلاقُ: فلهُ تعلُّقٌ بالأشهرِ القمريةِ، قال تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾.

فحسابُ العدةِ يكونُ بالأشهرِ الهجريةِ.

سابعًا: الإيلاءُ: قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ثامنًا: كفارةُ القتلِ الخطأِ بالصومِ شهرينِ هجريينِ، قال اللهُ تعالى: ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ﴾.

تاسعًا: كفارةُ الظهار بالصومِ شهرينِ هجريينِ، قال اللهُ تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾.

عاشرًا: عدو الوفاة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾. وهيَ أَشهرٌ هجريةٌ.

وقال صلى الله عليه وسلم في شأنِ اللُّقطةِ: «اعْرِفْ وِكَاءَهَا، أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ» متفق عليه.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ ارْتِبَاطَ عِبَادَاتِنَا بِهَذَا التَّارِيخِ يَجْعَلُ تَعَلُّمَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ فَرْضَ كِفَايَةٍ عَلَى الْأُمَّةِ، حَتَّى لَا تَضِيعَ مَعَالِمُ الدِّينِ.

ولا يجوزُ لِلمسلمينَ أن يغيِّروا تاريخَهُم إلى التاريخِ العجمي ونحوِهِ، فإن التاريخَ الهجري هويةٌ إسلاميةٌ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ،



(٤٦)

* رُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى [١] *

(الخطبة الأولى)

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ: معاشر المسلمين!

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ:

حَدِيثُنَا مَعَكُمْ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ حَوْلَ مَسْأَلَةٍ مِنْ كِبَارِ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ؛ قَالَ شَارِحُ الطَّحَاوِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ مِنْ أَشْرَفِ مَسَائِلِ أُصُولِ الدِّينِ وَأَجَلِّهَا، وَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا الْمُشَمِّرُونَ، وَتَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٥ هجرية، مارب.

إِنَّهَا مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ- أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا؛ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، صَحَّ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ مِنَ التَّابِعِينَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَراهُ فِي الدُّنْيَا».

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ سَأَلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الرُّؤْيَةَ: ﴿لَن تَرَانِي﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا.

وَكَذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا».

وَنَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ اتِّفَاقَ الأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ شَذَّ مِن أَهْلِ البِدَعِ.

وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ السُّؤَالُ الَّذِي سَأَلَ عَنْهُ الصَّفْوَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ انْظُرْ إِلَى هَذَا السُّؤَالِ العَظِيمِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الشَّوْقِ إِلَى اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: (نَعَمْ). وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ القِيَامَةَ قَالَ: (فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ) رواه مسلم.

هَذِهِ الرُّؤْيَةُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ وَحْدَهُمْ، لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، لَا يَدْخُلُ فِيهَا أَهْلُ الشِّرْكِ

وَالوَثَنِيَّةِ والقبوريةِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾. قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «لـمَّا حُجِبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ السُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرِّضَا».

وَالنَّظَرُ الأَكْبَرُ وَالنَّعِيمُ الأَعْظَمُ يَكُونُ فِي الجَنَّةِ؛ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ القُرْآنُ وَالسُّنَّةُ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾؛ فَسَّرَ هَذِهِ الآيَةَ نَبِيُّ الأُمَّةِ فَقَالَ ﷺ -كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رضي الله عنه-: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

وَجَاءَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَنَّهُ قَالَ: «الْحُسْنَى: الجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

وَجَاءَ أَيْضاً عَنْ عَدَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، مِنْهُمْ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ وَالحَسَنُ وَغَيْرُهُمْ.

ومن أدلةِ الرؤيةِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾؛ يَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ نَاضِرَةٌ، أَيْ: جَمِيلَةٌ حَسَنَةٌ، قَدْ صَارَتْ فِي غَايَةِ الحُسْنِ مِنْ جَمَالِ الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى رَبِّهَا تَنْظُرُ بِالأَعْيُنِ.

واسمعْ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِلبُخَارِيِّ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَاناً» أي: بالأعين. وفي صحيح ابن خزيمة وغيره بلفظ: «إِنَّكُمْ تُعَايِنُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا». وهذا صحيحٌ واضحٌ لمن يريدُ اللهَ تعالى والدارَ الآخرةَ.

ومن الأدلةِ على الرؤيةِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾؛ قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: «كُلُّ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى الْمُلَاقَاةِ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى النَّظَرِ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

وَاسْمَعْ إِلَى هَذَا الحَدِيثِ العَظِيمِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»؛ أَيْ: أَنَّ أَهْلَ الجَنَّاتِ مِنْ جَنَّاتِ عَدْنٍ وَغَيْرِهِمْ إِذَا كَشَفَ اللهُ تعالى الحِجَابَ تمتعوا بالنَّظَرَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو مِنَ النَّعِيمِ العَظِيمِ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيم...

****

(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

إِنَّ نَعِيمَ النَّظَرِ إِلَى الله جَلَّ وَعَلَا شَيْءٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ العَظِيمِ الَّذِي يَدُلُّكَ عَلَى عَظَمَةِ مَسْأَلَةِ الرُّؤْيَا، كَانَ يَقُولُ: «وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ».

فَنَبِيُّكَ ﷺ يَشْتَاقُ إِلَى رُؤْيَةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَكَيْفَ بَعْدَ هَذَا يُنْكِرُ الرؤية أهلُ الضلالِ والبدعِ؟

سُئِلَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الله: ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قَالَ: «يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَلَوْ لَمْ يَرَوْهُ مَا عَيَّرَ اللهُ الْكُفَّارَ بِالحِجَابِ، ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾». قَالُوا: يَا إِمَامُ، إِنَّ أُنَاساً يَزْعُمُونَ أَنَّا لَا نَرَى اللهَ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ: «السَّيْفَ السَّيْفَ» أَيْ: يُضْرَبُونَ بِالسَّيْفِ لِجَرِيمَةِ إِنْكَارِ رُؤْيَةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَمَسْأَلَةُ الرُّؤْيَةِ مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ تَاجٌ عَلَى رُؤُوسِ الصَّادِقِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُتَّبِعِينَ، وَإِنْ أَنْكَرَهَا أَهْلُ البِدَعِ فَلَهُمْ منَ الضلالِ العَجَبُ العُجَاب.

أَمَّا الصُّوفِيَّةُ؛ فَإِنَّهُمْ يَدَّعُونَ رُؤْيَةَ اللهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ، حَتَّى قَالَ بعضُ كبارِهِم: «لَوْ لَمْ أَرَ اللهَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً مَا عَدَدْتُ نَفْسِي مُسْلِماً»! وَصَدَقَ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ.

وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ وَالجَهْمِيَّةُ؛ فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ رُؤْيَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَيَقُولُونَ: لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، وَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا صَحَّ عَنِ التَّابِعِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَا تراهُ فِي الدُّنْيَا.

وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ جَاءَتِ الآيَاتُ الكَثِيرَةُ وَالأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ في الرؤيةِ، وهيَ ردٌّ على هَذَا المَذْهَبِ المَشْؤُومَ الذي ينكرُ الرؤيةَ.

يَبْقَى الإِنْسَانُ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيَاتَهُ كُلَّهَا، ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ: لَا يَرَى اللهَ فِي الآخِرَةِ! وَمَا ضَيْرُهُمْ وَمَا ضَرَّهُمْ أَنْ يَرَى الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟

وَهَكَذَا الخَوَارِجُ الإِبَاضِيَّةُ وَالرَّوَافِضُ وَغَيْرُهُمْ اعْتَنَقُوا مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَنْكَرُوا رُؤْيَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

معاشر المسلمين: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ فِي العُلُوِّ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَللهِ وَجْهٌ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ سَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَرَماً مِنْ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَهَذَا مِنْ عَقِيدَتِنَا، وَمِمَّا يُشَوِّقُنَا إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَمِمَّا يُرَغِّبُنَا فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَعْتَقِدَهُ؛ فَإِنَّ أَعْظَمَ الحَسَنَاتِ السيرُ على العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَكَذَلِكَ نَسْتَفِيدُ مِنْهُ فِي بَابِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ»؛ يَسْأَلُهُ يُحَاسِبُهُ.

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «يَخْلُو أَحَدُكُمْ بِرَبِّهِ كَمَا يَخْلُو بِالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَيَقُولُ لَهُ: عَلَّمْتُكَ فَمَاذَا عَمِلْتَ؟ عَمَّرْتُكَ فَمَاذَا عَمِلْتَ؟ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا..».

وَتُعْرَضُ الحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، نَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(٤٧)

* فَضْلُ الْغَنَمِ وَأَحْكَامُهَا[١] *

(الخطبة الأولى)

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ: معاشر المسلمين!

إِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَ دِينِهِمْ؛ وَأَنْ يَعْرِفُوا مَا أَوْجَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تُذْكَرَ الأَحْكَامَ والعَقَائِدَ فِي الخُطَبِ كَمَا تُذْكَرَ المَوَاعِظِ، وَلِهَذَا فَخُطْبَتُنَا فِي هَذَا اليَوْمِ تَحْتَ عُنْوَانِ: (فَضْلُ الغَنَمِ وَأَحْكَامُهَا).

والغَنَمَ بَرَكَةٌ فِي المَالِ؛ يُسْتَفَادُ مِنْ جُلُودِهَا، وَتُشْرَبُ أَلْبَانُهَا، وَيُؤْكَلُ لَحْمُهَا، وَيُسْتَضَاءُ بِشَحْمِهَا، وَيُلْبَسُ صُوفُهَا.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ عَنْ أُمِّ هَانِئٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (اتَّخِذُوا الْغَنَمَ، فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً). رواه أحمد وغيره.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٠ هجرية، سقطرى.

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ البَارِقِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الغَنَمُ بَرَكَةٌ». وَبَرَكَتُهَا لِكَثْرَةِ فَائِدَتِهَا في كُلِّ حَالٍ.

كَمَا أَنَّ الغَنَمَ مَشْهُورَةٌ بِالهُدُوءِ وَالضَّعْفِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، فَيَسْتَفِيدُ رَاعِيهَا مِنْ هَذِهِ الأَخْلَاقِ؛ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ».

إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَتَأَثَّرُ بِمُعَاشَرَةِ مَنْ يُجَالِسُ وَلَوْ كَانَ حَيَوَاناً؛ فَيَسْتَفِيدُ رَاعِي الإِبِلِ الغِلْظَةَ وَالشِّدَّةَ، وَيَسْتَفِيدُ رَاعِي الغَنَمِ السَّكِينَةَ وَالوَقَارَ وَالهُدُوءَ، وَالرِّفْقَ بِالرَّعِيَّةِ وَحُسْنَ سِيَاسَةِ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ.

وَلِهَذَا فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قدَّر على الأَنْبِيَاءَ عليهمُ السلامُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ أَنْ يَرعوا الغَنَمَ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ)، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: (نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ) رواه البخاري.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الغَنَمِ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي صَعْصَعَةَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَتَتَّخِذُهَا فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الْغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ، يَتْبَعُ بِهَا

شَعَفَ الْجِبَالِ فِي مَوَاقِعِ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ). رواه البخاري .

وَجَاءَ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (نِعْمَ الْمَنِيحَةُ اللِّقْحَةُ الصَّفِيُّ مِنْحَةً وَالشَّاةُ، الصَّفِيُّ تَغْدُو بِإِنَاءٍ وَتَرُوحُ بِإِنَاءٍ). متفق عليه.

يَعْنِي: كَثِيرَةَ اللَّبَنِ؛ فَنِعْمَ الشَّاةُ الَّتِي تُعْطَى لِلْفَقِيرِ أَثْنَاءَ وُجُودِ الْحَلِيبِ فِيهَا تَكُونُ رِزْقَهُ، يُصْبِحُ عَلَى حَلِيبِهَا وَيُمْسِي عَلَى حَلِيبِهَا.

أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَحْكَامِ الغَنَمِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالطَّهَارَةِ: اسْتِحْبَابُ الوُضُوءِ بَعْدَ أَكْلِ لَحْمِهَا وَلَا يَلْزَمُ ذَلِكَ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَتَوَضَّأْ»، قَالَ: أَنَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: أُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ؟ -يَعْنِي أَحْوَاشَهَا- قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: أُصَلِّي فِي مَبَارِكِ الإِبِلِ؟ قَالَ: «لَا». وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى طَهَارَةِ الغَنَمِ وَطَهَارَةِ أَبْوَالِهَا وَأَرْوَاثِهَا، وَجَوَازِ الصَّلَاةِ فِي أَحْوَاشِهَا.

كَمَا أَنَّهُ يُشْرَعُ لِرُعَاةِ الغَنَمِ إِذَا حَانَتِ الصَّلَاةُ أَنْ يُؤَذِّنُوا، فَإِنْ كَانُوا مَجْمُوعَةً فَالأَذَانُ فِي حَقِّهِمْ وَاجِبٌ، وَصَلَاةُ الجَمَاعَةِ كَذَلِكَ؛ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَعْصَعَةَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ لَهُ: « فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ

وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رواه البخاري.

وَمِنْ أَحْكَامِ الغَنَمِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالزَّكَاةِ: أَنَّ زَكَاتَهَا وَاجِبَةٌ؛ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «لَا يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ» -يَعْنِي: صِيَاحٌ- «فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُ».

وَلَا تَجِبُ الزَّكَاةُ فِي الغَنَمِ إِلَّا بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ: أَنْ تَبْلُغَ النِّصَابَ (أَرْبَعِينَ شَاةً فأكثرَ)، وَكَذَلِكَ أَنْ يَحُولَ عَلَيْهَا سَنَةٌ وَهِيَ بَالِغَةُ النِّصَابِ، وَأَنْ تَكُونَ سَائِمَةً -أَيْ تَرْعَى المَرْعَى لَا تُعْلَفُ فِي البُيُوتِ- فَإِذَا كَانَتْ دَوَامَ السَّنَةِ أَوْ أَكْثَرَ السَّنَةِ تُعْلَفُ فِي البُيُوتِ فَلَا زَكَاةَ فِيهَا.

رَوَى البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَتَبَ لَهُ كِتَاباً في الزكاةِ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ... وَفِي صَدَقَةِ الْغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا إِذَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ إِلَى عِشْرِين. وَمِائَةٍ شَاةٌ فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى مِائَتَيْنِ شَاتَانِ فَإِذَا زَادَتْ عَلَى مِائَتَيْنِ إِلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ فَفِيهَا ثَلَاثُ شِيَاهٍ فَإِذَا زَادَتْ عَلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ فَفِي كُلِّ مِائَةٍ شَاةٌ فَإِذَا كَانَتْ سَائِمَةُ الرَّجُلِ نَاقِصَةً مِنْ أَرْبَعِينَ شَاةً وَاحِدَةً فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا ».

وَيُشْتَرَطُ فِي هَذِهِ الزَّكَاةِ أَلَّا تَكُونَ ذَاتَ عيبٍ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يُخْرَجُ فِي الصَّدَقَةِ تَيْسٌ، وَلَا ذَاتُ عَوَارٍ» -يَعْنِي: وَلَا ذَاتُ عَيْبٍ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَحْسَنِ مَالِهِ زَكَاةً، فَإِنْ أَبَى فَمِنْ أَوْسَطِ مَالِهِ، وَلَا يَخْتَارُ مِنْ أَرْدَاهَا لِأَنَّهُ يَرْجُو بِزَكَاتِهِ رِضَا اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلْيَطْلُبْ رِضَا اللهِ بِأَحْسَنِ مَا عِنْدَهُ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

فَمِنْ أَحْكَامِ الغَنَمِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالحَجِّ: مَشْرُوعِيَّةُ أَنْ يَكُونَ الهَدْيُ غَنَماً؛ فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُهْدِي مِنْ المَدِينَةِ فَأَفْتِلُ قَلَائِدَ هَدْيِهِ). رواه البخاري.

وَكَذَلِكَ يُشْرَعُ أَنْ تَكُونَ الفِدْيَةُ مِنَ الغَنَمِ، وَالفِدْيَةُ هِيَ مَا يُذْبَحُ إِذَا ارْتَكَبَ الْمُحْرِمُ مَحْظُوراً أَوْ مَمْنُوعاً؛ فَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: أَصَابَنِي القَمْلُ فَحُمِلْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَالقَمْلُ يَتَهَافَتُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ آذَاكَ هَوَامُّكَ». فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (احْلِقْ رَأْسَكَ، وَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ أَوْ انْسُكْ شَاةً). متفق عليه.

فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ هَذِهِ الثَّلَاثِ.

وَمِنْ أَحْكَامِ الغَنَمِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالأَضَاحِيِّ: مَشْرُوعِيَّةُ أَنْ تَكُونَ الأُضْحِيَّةُ مِنَ الغَنَمِ، وَأَفْضَلُ الأَضَاحِيِّ الكِبَاشُ السَّمِينَةُ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قال: ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ فَذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ. متفق عليه.

وينْبَغِي فِي الأُضْحِيَّةِ أَنْ تَكُونَ عَلَى أَحْسَنِ وصفٍ؛ فَيُشْتَرَطُ فِيهَا أَنْ تَبْلُغَ مِنَ السِّنِّ فَوْقَ السَّنَةِ إِنْ كَانَتْ مِنَ المَعْزِ، ومنَ الضَّأْنِ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ فأكثر، جَاءَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً، إِلَّا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ». رواه مسلم.

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «أَرْبَعٌ لَا تُجْزِئُ فِي الْأَضَاحِيِّ: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي». فَهَذِهِ العُيُوبُ وَمَا كَانَ مِثْلَهَا أَوْ كَانَ أَشَدَّ لَا تَجْزِئُ فِي الأَضَاحِيِّ.

وَمِنْ أَحْكَامِ الغَنَمِ مَا يَتعَلَّقُ بِالعَقِيقَةِ، وَهِيَ مَا يُذْبَحُ عِنْدَ وِلَادَةِ الأَطْفَالِ؛ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنِ الغُلَامِ: «شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الجَارِيَةِ شَاةٌ».

وَيُشْتَرَطُ فِي العَقِيقَةِ مَا يُشْتَرَطُ فِي الأُضْحِيَّةِ مِنْ جِهَةِ السِّنِّ وَالبَرَاءَةِ مِنَ العُيُوبِ.

كَمَا أَنَّ مِنْ أَحْكَامِ الغَنَمِ مَا يَتعَلَّقُ بِالبُيُوعِ؛ فَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: لَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ فَمَنْ ابْتَاعَهَا بَعْدُ فَإِنَّهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْتَلِبَهَا إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ وَإِنْ شَاءَ رَدَّهَا وَصَاعَ تَمْرٍ). متفق عليه.

أَيْ: لَا تَحْبِسُوا اللَّبَنَ فِي ضُرُوعِهَا حَتَّى يَكْبَرَ الضَّرْعُ فَيَظُنُّ الْمُشْتَرِي أَنَّهَا ذَاتُ لَبَنٍ كَثِيرٍ، لِأَنَّ هَذَا مِنَ الغِشِّ الْمُحَرَّمِ.

وَنَخْتِمُ بِحُكْمِ الغَنَمِ الضَّائِعَةِ؛ فَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الضَّالَّةِ، فَقَالَ: «عَرِّفْهَا سَنَةً، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا، وَإِلَّا فَشَأْنُكَ بِهَا»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَضَالَّةُ الغَنَمِ؟ قَالَ: «هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ».

نَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُفَقِّهَنَا فِي دِينِهِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.



(٤٨)

* فِتْنَةُ الْقَبْرِ وَعَذَابُهُ وَنَعِيمُهُ [(١)] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

أَيُّهَا النَّاسُ: حَدِيثُنَا مَعَكُمْ فِي هَذِهِ الجُمُعَةِ عَنْ إِحْدَى المَسَائِلِ العَظِيمَةِ مِنْ مَسَائِلِ الاعْتِقَادِ، الَّتِي كَثُرَ الخَوْضُ فِيهَا فِي زَمَنِ المَاضِي وَالحَاضِرِ، وَاتَّخَذَهَا بعضُ أَهْلِ البِدَعِ قَضِيَّةً يُدَنْدِنُونَ حَوْلَهَا لِإِضْلَالِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ أَلَا وَهِيَ فِتْنَةُ القَبْرِ وَعَذَابُهُ وَنَعِيمُهُ.

فَالمَوْتُ حَقٌّ لَا يُكَابِرُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾؛ هَذَا مَصِيرُ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٠ هجرية، مارب.

وَإِذَا مَاتَ العَبْدُ وَنَزَلَ قَبْرَهُ، تُعْرَضُ عَلَيْهِ فِتْنَةُ القَبْرِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾. وجاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أُقْعِدَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ﴾».

وَجَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».

وَمَوْعِدُ هَذَا السُّؤَالِ وَهَذِهِ الفِتْنَةِ العَظِيمَةِ عِنْدَ نُزُولِ القَبْرِ وَالفَرَاغِ مِنَ الدَّفْنِ؛ فَقَدْ جَاءَ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الدَّفْنِ قَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ». أَيْ: قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانٍ وَثَبِّتْهُ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ. فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَنْفَعُ المَيِّتَ بِدُعَاءِ إِخْوَانِهِ المُوَحِّدِينَ.

وَأَمَّا عَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيمُهُ فهو ثَابِتٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ وَالمُشَاهَدَةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وحَيَاةُ البَرْزَخِ حَيَاةٌ كَامِلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، كَمَا أَنَّ دَارَ الدُّنْيَا دَارٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِأُمُورِهَا وَأَحْوَالِهَا.

إِنَّ دَارَ البَرْزَخِ مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ الَّذِي لَا يُعلَمُ إِلَّا بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ الله تعالى أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدْ يُظْهِرُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فِي الدنيا لِلْعِبْرَةِ وَالعِظَةِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾؛ فَالعَرْضُ يَكُونُ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فِي الحَيَاةِ البَرْزَخِيَّةِ يُعْرَضُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَلَى النَّارِ عَذَاباً وَتَنْكِيلاً لَهُمْ.

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾؛ العَذَابُ الأَوَّلُ فِي الدُّنْيَا، وَالثَّانِي فِي البَرْزَخِ، وَالعَذَابُ العَظِيمُ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَرَنَا أَنْ نَسْتَعِيذَ بِالله تعالى مِنْ عَذَابِ القَبْرِ بَعْدَ كُلِّ تَشَهُّدٍ.

وقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ البَرَاءِ الطَّوِيلِ وَهُوَ يَصِفُ مَا يَجْرِي لِلْعَبْدِ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ أَنْ تَصْعَدَ رُوحُهُ إِلَى السَّمَاءِ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا وَرَوْحِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّك، هَذَا يَوْمُك الَّذِي كُنْت تُوعَدُ»...

قال فِي العَبْدِ الكَافِرِ أَوِ الفَاجِرِ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ، أَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاَعُهُ».

فَهَذِهِ الأَدِلَّةُ وَأَمْثَالُهَا كَثِيرٌ مِمَّا تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تَدُلُّ عَلَى نَعِيمِ القَبْرِ وَعَذَابِهِ؛ فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِذَلِكَ إِيمَاناً بِكِتَابِ اللهِ تعالى وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ...



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

فقد سَمِعْتُمْ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ يُطْلِعُ عَلَى عَذَابِ القَبْرِ أَوْ نَعِيمِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ لِلْعِبْرَةِ وَالعِظَةِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ».

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَإِذَا أَقْبُرٌ خَمْسَةٌ أَوْ سِتَّةٌ، قَالَ: فَنَفَرَتْ دَابَّتُهُ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تُلْقِيَهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

وَجَاءَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَا أَنَا سَائِرٌ، بِجَنَبَاتِ بَدْرٍ، إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ حُفَيرٍ، فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ، فَنَادَانِي: يَا عَبْدَ اللهِ اسْقِنِي. يَا عَبْدَ اللهِ اسْقِنِي، وَخَرَجَ أَسْوَدُ مِنْ ذَلِكَ الْحُفَيْرِ، فِي يَدِهِ سَوْطٌ، فَنَادَانِي: يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَسْقِهِ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ حَتَّى عَادَ إِلَى حُفْرَتِهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْرِعًا، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ لِي: «أَوَ قَدْ رَأَيْتَهُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَذَاكَ عَذَابُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَجَاءَ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أنهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَقْبَلْنَا حُجَّاجًا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِحُنينٍ تُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَحَفَرْنَا لَهُ، فَإِذَا أَسْوَدُ قَدْ أَخَذَ اللَّحْدَ، حَتَّى حَفَرْنَا قَبْرًا آخَرَ، فَإِذَا الْأَسْوَدُ قَدْ أَخَذَ اللَّحْدَ، قَالَ: فَحَفَرْنَا لَهُ آخَرَ، فَإِذَا الْأَسْوَدُ قَدْ أَخَذَ اللَّحْدَ، قَالَ: فَتَرَكْنَاهُ، وَأَتَيْنَاكَ لِنَسْأَلَكَ مَا تَأْمُرُنَا، قَالَ: «ذَاكَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، اذْهَبُوا فَادْفِنُوهُ فِي بَعْضِهَا، فَوَاللهِ لَوْ حَفَرْتُمُ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَجَدْتُمْ ذَلِكَ»، فَأَلْقَيْنَاهُ فِي قَبْرٍ مِنْهَا، قَالَ: فَلَمَّا قَضَيْنَا سَفَرَنَا، أَتَيْنَا امْرَأَتَهُ فَسَأَلْنَاهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: كَانَ رَجُلًا يَبِيعُ الطَّعَامَ ، فَيَأْخُذُ قُوتَ أَهْلِهِ كُلَّ يَوْمٍ ، فَيَنْظُرُ مِثْلَهُ مِنْ قَصَبِ الشَّعِيرِ فَيُقَطِّعُهُ فَيَخْلِطُهُ فِي طَعَامِهِ مَكَانَ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ.

وَجَاءَ أَيْضاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الصَّائِغِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ قَالَ: كَانَ أَبِي مُولَعًا بِالصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَائِزِ مَنْ عَرَفَ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ خَرَجْتُ يَوْمًا مِنَ السُّوقِ أَشْتَرِي حَاجَةً فَصَادَفْتُ جِنَازَةَ رَجُلٍ، فَتَبِعْتُهَا، فَصَلَّوْا عَلَيْهَا وَصَلَّيْتُ مَعَهُمْ وَأَدْخَلُوهَا الْمَقْبَرَةَ، وَجَاءُوا بِهَا إِلَى قَبْرٍ مَحْفُورٍ، فَنَزَلَ إِلَى الْقَبْرِ نَفْسَانِ وَجَذَبُوا الْمَيِّتَ فَأَخَذُوهُ وَسَرَّحُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَخَرَجَ وَاحِدٌ، وَبَقِيَ الْآخَرُ، وَحَثَى النَّاسُ التُّرَابَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ يَا قَوْمُ: يُدْفَنُ حَيٌّ مَعَ مَيِّتٍ؟ وَقُلْتُ: يَا رَبِّ اكْشِفْ لِي عَمَّا رَأَيْتُ، فَانْشَقَّ الْقَبْرُ وَخَرَجَ مِنْهُ شَخْصٌ، فَوَلَّى مُدْبِرًا فَقُمْتُ وَرَاءَهُ، فقالَ: أَلَا تَعْرِفُنِي؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَنَحْنُ مَلَكَانِ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، وَقَدْ وُكِّلْنَا بِأَهْلِ السُّنَّةِ إِذَا وُضِعُوا فِي قُبُورِهِمْ، نَزَلْنَا حَتَّى نُلَقِّنَهُمُ الْحُجَّةَ، وَغَابَ عَنِّي». وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِسْنَادُهَا ثابتٌ.

وَجَاءَ عن الْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: «كُنْتُ فِي الْجَبَّانَةِ بِالْبَصْرَةِ مَعَ أَبِي فَأُسْمِعَ مِنَ الْقَبْرِ، أَوْهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى: فَقَالَ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِه، فَأَخْرَجَ إِلَيْنَا الْعَجُوزَ أُمَّهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهَا: مَنْ مَاتَ لَكِ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً؟ قَالَتِ: ابْنَتِي، قَالَ: إِيش كَانَتْ تَعْمَلُ؟ قَالَتْ: جَاءَتْ لَيْلَةُ زَلْزَلَةٍ وَصَوَاعِقَ، قَالَ: فَقَالَتْ ابْنَتِي: دَعِينَا حَتَّى نَدُقَّ الدُّنْيَا دَقًّا، - أي: تُغني - قَالَتْ: فَأَصْبَحَتْ فَحُمَّتْ فَمَاتَتْ بَعْدَ سَاعَتَيْنِ، قَالَتْ: فَأَنَا أَزُورُهَا مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً. نَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا السَّلَامَةَ.

وَجَاءَ أَيْضاً عَنِ العَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ قَالَ: نَزَلْتُ مَرَّةً حَيًّا وَإِلَى جَانِبِ الْحَيِّ مَقْبَرَةٌ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ انْشَقَّ مِنْهَا قَبْرٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ رَأْسُهُ رَأْسُ حِمَارٍ وَجَسَدُهُ جَسَدُ إِنْسَانٍ فَنَهِقَ ثَلَاثَ نَهْقَاتٍ، ثُمَّ انْطَبَقَ عَلَيْهِ الْقَبْرُ، فقيل: تِلْكَ أُمُّ هَذَا، قَالَ: وَمَا كَانَ قِصَّتُهُ؟ قَالَتْ: كَانَ يَشْرَبُ الخَمْرَ فَإِذَا رَاحَ تَقُولُ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ اتَّقِ اللهَ، إِلَى مَتَى تَشْرَبُ هَذَا الخَمْرَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ لهَا: إِنَّمَا أَنْتِ تَنْهَقِينَ كَمَا يَنْهَقُ الْحِمَارُ، قَالَتْ: فَمَاتَ بَعْدَ الْعَصْرِ، قَالَتْ: فَهُوَ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ بَعْدَ الْعَصْرِ كُلَّ يَوْمٍ فَيَنْهَقُ ثَلَاثَ نَهْقَاتٍ ثُمَّ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْقَبْرُ.

وَجَاءَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ قَالَ: سَأَلْتُ قَبَّاراً مَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ فِي هَذِهِ المَقْبَرَةِ؟ قَالَ: سَمِعْتُ يَوْماً مِنْ قَبْرٍ أَنِيناً، وَسَمِعْتُ مِنْ قَبْرٍ آخَرَ وَالْمُؤَذِّنُ يُؤَذِّنُ وَصَاحِبُ القَبْرِ يُرَدِّدُ الأَذَانَ.

والأَدِلَّةُ كَثِيرَةٌ كَمَا سَمِعْتُمْ عَلَى إِثْبَاتِ عَذَابِ القَبْرِ وَإِثْبَاتِ نَعِيمِهِ.

وَبِهَذَا نَقُولُ وَنَعْتَقِدُ.

وَقَدْ أَنْكَرَ عَذَابَ القَبْرِ وَنَعِيمَهُ طَوَائِفُ الضَّلَالِ الَّتِي لَا تَتْرُكُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الحَقِّ إِلَّا خَالَفَتْهُ: منَ الرَّوَافِضِ وَالْمُعْتَزِلَةُ والخَوَارِجُ الإِبَاضِيَّةُ ونحوِهِم.

والْمُسْلِمُ الصادقُ لَا يَسَعُهُ إِلَّا التَّسْلِيمُ وَالإِيمَانُ وَالتَّصْدِيقُ بالكتابِ والسنة.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

(٤٩)

* ذَمُّ الْقُبُورِيَّةِ[(١)] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ أَعْظَمَ الحَسَنَاتِ وَأَوْجَبَ الطَّاعَاتِ وَأَعْظَمَ الْفَضَائِلِ وَالـمَكْرُمَاتِ هُوَ تَوْحِيدُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَجْلِهِ خَلَقَ الخَلْقَ، وَبَعَثَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَمَرَ بِالْجِهَادِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

وَمَهْمَا كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ إِذَا لَقِيَ اللهَ جَلَّ وَعَلَا بِالتَّوْحِيدِ الخَالِصِ كَانَتْ لَهُ النَّجَاةُ ابْتِدَاءً أَوْ مَآلًا.

جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سعيد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ).

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، المكلا.

فَالنَّارُ خُلِقَتْ لِلْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَبْقَى فِيهَا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَحَدٌ؛ لِأَنَّ حَسَنَةَ التَّوْحِيدِ لَا يَعْدِلُـهَا شَيْءٌ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا خَلَقَ عِبَادَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَالْأَصْلُ فِي الْبَشَرِيَّةِ التَّوْحِيدُ، وَالشِّرْكُ طَارِئٌ عَلَيْهِمْ. وفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا).

وَكُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَأَبُو آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَوَّلُ الدُّعَاةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَبَقِيَ التَّوْحِيدُ فِي ذُرِّيَّتِهِ قُرابةَ عَشَرَةِ قُرُونٍ، لَا يَعْرِفُونَ الشِّرْكَ وَلَا يَرَوْنَهُ فِي أَوْسَاطِهِمْ، حَتَّى تَغَيَّرَ النَّاسُ وَنَشِطَ الشَّيْطَانُ وَأَغْرَاهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْبِدَعِ حَتَّى أَشْرَكُوا بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه في قوله تعالى عن قومِ نوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ) رواه البخاري.

فَعَبَدُوا هَذِهِ الصُّوَرَ وَهَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي كَانَتْ لِرِجَالٍ صَالِحِينَ.

فَلَمَّا جَاءَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا عارضوهُ وحاربُوهُ.

وبهذا تَعْلَمْ أنّ أَصْلَ الشِّرْكِ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ، وَإِعْطَاؤُهُمْ مَنْزِلَةً فَوْقَ مَنْزِلَتِهِمُ الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأما حَدِيث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»، فَهَذَا كَانَ فِي بِدَايَةِ الْإِسْلَامِ حِينَ رَأَى التَّوْحِيدَ يَنْتَشِرُ، وَالنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الله تعالى أَفْوَاجًا، وَلَكِنَّ الْمَاكِرِينَ الْحَاقِدِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَنْ أَعَادُوا الشِّرْكَ غَضًّا طَرِيًّا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسَانَدُوا الشَّيْطَانَ وَبَعَثُوا فِي قَلْبِهِ الْأَمَلَ مِنْ جَدِيدٍ لِإِغْوَاءِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَنَشْرِ الشِّرْكِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كلامًا معناه: أَصْلُ عِبَادَةِ الْقُبُورِ إِنَّمَا نَشَأَتْ مِنَ الزَّنَادِقَةِ أَرَادُوا هَدْمَ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ تُحَذِّرُ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَنْ تَنْحَرِفَ كَمَا انْحَرَفَتِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ؛ قَالَ ﷺ: «وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»

وَفِي حَدِيثِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»

وَفِي حَدِيثِ عائشةَ وابنِ عباسٍ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وغيرِهم: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». أَيْ: جَعَلُوا الْقُبُورَ وَأَمَاكِنَ الْقُبُورِ مَحَلًّا لِلْعِبَادَةِ.

أَوْ أَدْخَلُوا الْقبرَ إِلَى المَسْجِدِ لِيَكُونَ شَرِيكًا فِي عِبَادَةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالدعاءِ والاستِغاثةِ وغيرِ ذلك.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهِيَ تَذْكُرُ كَنِيسَةً رَأَتْهَا فِي الحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ ﷺ: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله».

فَالْمُشْرِكُ هُوَ شَرُّ الْبَرِيَّةِ، وَلِذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ نَهَى عَنِ التَّقْرِيبِ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالمَسْجِدِ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ الْقُبُورِ الْمُرْتَفِعَةِ وَهدْمِ الْقِبَابِ وَمَا يُشْبِهُ ذَلِكَ، وَبَعَثَ خَالِدًا لِهَدْمِ الْعُزَّى، وَبَعَثَ الْمُغِيرَةَ لِهَدْمِ اللَّاتِ، وَبَعَثَ عَلِيًّا لِهَدْمِ مَنَاةَ، وَبَعَثَ جَرِيرًا لِهَدْمِ ذِي الخَلَصَةِ؛ وَكَانَ قَبْرًا يُعْبَدُ فِي الْيَمَنِ. وَبَعَثَ الْبُعُوثَ الْكَثِيرَةَ لِأجلِ ذلكَ.

وأَصْدَرَ أَمْرًا لِلْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ: (أَلَّا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ)؛ أَيْ: هدَمتَهُ وَمَسَحْتَهُ بِالْأَرْضِ.

هَذَا هُوَ الهَدْيُ النَّبَوِيُّ حِفَاظًا عَلَى تَوْحِيدِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ تعالى.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

إِنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْقُبُورَ وَيُعَظِّمُونَهَا وَيَبْنُونَ عَلَيْهَا الْقِبَابَ وَيَشُدُّونَ إِلَيْهَا الرِّحَالَ لَا يَخْتَلِفُونَ عَنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ؛ فَالشُّبْهَةُ هِيَ الشُّبْهَةُ، وَالْبِدْعَةُ هِيَ الْبِدْعَةُ. فَقَدْ كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ -كَمَا ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْهُمْ- يَتَذَرَّعُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلْقُبُورِ وَالصَّالِحِينَ بِشُبْهَتَيْنِ: (الْقُرْبَة وَالشَّفَاعَة).

كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الْقُربَةِ: ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾؛ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَاسِطَةً يَعْبُدونَهَا كَاذِبُونَ وَكُفَّارٌ، فلمْ تنفعُهُم شبهةُ القربةِ.

وَأَمَّا شُبْهَةُ الشَّفَاعَةِ فَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي

السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ فَسَمَّى مَنْ يَتَذَرَّعُ بِعِبَادَةِ الصَّالِحِينَ بِقَصْدِ الشَّفَاعَةِ مُشْرِكِينَ، وَتَبَرَّأَ مِنْ شِرْكِهِمْ.

فَهَذِهِ الشُّبْهَةُ يُكَرِّرُهَا عُبَّادُ الْقُبُورِ مِنْ زَمَنِ نُوحٍ إِلَى زَمَانِنَا وَإِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ فَلَمْ تَنْفَعْ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَلَا قَوْمَ نُوحٍ الَّذِينَ أَغْرَقَهُمُ اللهُ تعالى، وَالْعَرَبَ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي سُورَةِ الْبَيِّنَةِ أَنَّهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ؛ سَوَاءً كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى أَوْ عَرَبًا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

وَشِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ.

وَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشُدَّ الرِّحَالَ إِلَى الْقُبُورِ سَوَاءً فِي زِيَارَاتٍ مَوْسِمِيَّةٍ أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ).

فلا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى الْقُبُورِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَدْعَاةٌ لِلشِّرْكِ وَالْوَثَنِيَّةِ الَّتِي فَاقُوا بِهَا أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا لَهَبٍ. فَمَا كَانَ أَبُو جَهْلٍ وَلَا أَبُو لَهَبٍ يَرْحَلُونَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ لِيَعْكُفُوا عِنْدَ قَبْرِ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ، وَهَؤُلَاءِ زَادُوا عَلَى شِرْكِ الْمُشْرِكِينَ؛ وَهُمْ أيضًا يَدْعُونَ الْقُبُورَ وَالْأَوْلِيَاءَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، بَلْ هُمْ فِي الضَّرَّاءِ أَشَدُّ لُجوءًا لِغَيْرِ الله تعالى.

بَيْنَمَا كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ لَجَؤُوا إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَحْدَهُ؛

قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، وذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا ذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ.

وَاعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ أَئِمَّةَ الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَالْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ وَطُلَّابَهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمِنْ دُعَاةِ التَّوْحِيدِ؛ لَيْسَ فِيهِمْ قُبُورِيٌّ وَلَيْسَ فِيهِمْ أَشْعَرِيٌّ وَلَا مَاتُرِيدِيٌّ وَلَا مُعْتَزِلِيٌّ ولا حِزْبِي، وَلَا مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْمَذَاهِبِ فِي الْفِقْهِ وَيُخَالِفُونَ عَقِيدَةَ الْأَئِمَّةِ الَّتِي بِهَا النَّجَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمَا يَحْدُثُ فِي أَيَّامِنَا مِنَ الحَجِّ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ هُودٍ عليه السلام كَذِبٌ عَلَى هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَلَا يُعْلَمُ قَبْرُ نَبِيٍّ قَطُّ غَيْرُ قَبْرِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنَّ أُنَاسًا مكرُوا وجَعَلُوا الشِّرْكَ ذَرِيعَةً لِاكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ وَإِغْوَاءِ الخَلْقِ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا المَوْعِدُ وَسَيَسْأَلُ الظَّالِمَ وَالْمُشْرِكَ عَمَّا فَعَلَ.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله تعالى: وجمهورُ هؤلاءِ المشركينَ بالقبورِ يجدونَ عندَ عبادةِ القبورِ منَ الرقةِ والخشوعِ والدعاءِ وحضورِ القلبِ ما لا يجدُهُ أحدُهم في مساجدِ الله تعالى التي أذنَ أن ترفعَ ويذكرَ فيها اسمُهُ

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ.

****

(٥٠)

* نَشْرُ الطُّمَأْنِينَةِ فِي زَمَنِ الِاضْطِرَابَاتِ[1] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ: (بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ). وَنَحْنُ فِي زَمَانٍ كَثُرَ فِيهِ الِاضْطِرَابُ وَالْمِحَنُ، وَتَوَالَتْ فِيهِ الْفِتَنُ، وَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُوَاجِهَ ذَلِكَ بِثَبَاتٍ، وَأَنْ يَحْرِصَ عَلَى نَشْرِ الطُّمَأْنِينَةِ وَنَشْرِ السَّكِينَةِ، وَأَلَّا يُثِيرَ فِي النَّاسِ الْإِحْبَاطَ وَالتَّشَاؤُمَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ خِلَافُ الْهَدْيِ الْقُرْآنِيِّ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَمَا مِنْ عُسْرٍ إِلَّا جَاءَ بَعْدَهُ يُسْرٌ، وَمَا مِنْ كَرْبٍ إِلَّا تلاهُ فَرَجٌ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، المكلا.

وَلَكُمْ فِي أَنْبِيَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّالِحِينَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؛ فَهَذَا نَبِيُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَبِعَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَوَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ، قَالَ أَصْحَابُهُ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، كَلِمَةٌ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا الْإِحْبَاطَ وَقَطْعَ الْآمَالِ، لَكِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكَلَّمَ بِعَكْسِ ذَلِكَ، بِعَثَ التَّفَاؤُلِ وَالْأَمَلِ وَقَالَ: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

والثَّبَاتُ فِي وَقْتِ الشِّدَّةِ يَنْفَعُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهِ كَثِيرًا.

ولَـمَّا وَرَدَ مُوسَى إِلَى مَدْيَنَ وَقَصَّ عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ الْقَصَصَ بِمَا جَرَى لَهُ مِنَ الخَوْفِ وَالْأَسْفَارِ، قَالَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ نَشْرًا لِلطُّمَأْنِينَةِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وَهَذَا نَبِيُّنَا ﷺ وَقَدْ تَابَعَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي هِجْرَتِهِ فَاخْتَفَى فِي غَارِ ثَوْرٍ أَيَّامًا، فَتَتَبَّعَ الْمُشْرِكُونَ الْآثَارَ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى فَمِ الْغَارِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ تَحْتَ قَدَمِهِ لَرَآنَا. فَقَالَ ﷺ نَشْرًا لِلطُّمَأْنِينَةِ: (يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟)، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾.

وجَاءَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ رَضِيَ تَعَالَى عَنْهُ فِي زَمَنِ مَكَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ يَشْكُو مَا يَجِدُ مِنَ الشِّدَّةِ وَالتَّعْذِيبِ وَالحَرْبِ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ ﷺ: «وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ،

لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»

يُبَشِّرُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِزَمَنٍ قَادِمٍ مَلِيءٍ بِالْأَمْنِ وَالسَّكِينَةِ وَالْهُدُوءِ.

وَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ فِي مُوَاجَهَةِ جَيْشٍ كَبِيرٍ لِلْمُشْرِكِينَ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَاشِرًا السَّكِينَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ فِي أَصْحَابِهِ: (سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ عز وجل قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ مَصَارِعَ الْقَوْمِ)؛ يُبَشِّرُ الْمُسْلِمِينَ بِالنَّصْرِ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَيُقْتَلُونَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي جَاؤُوا إِلَيْهِ مُتَغَطْرِسِينَ مُتَكَبِّرِينَ.

وَفِي يَوْمِ الْأَحْزَابِ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ وَاجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَظَنَّ الْمُنَافِقُونَ بِاللهِ الظُّنُونَا، فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا)؛ بَشَّرَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ غُزَاةٌ وَلَا يُغْزَوْنَ، أَيْ: تَشْتَدُّ قُوَّتُهُمْ وَيُبَاشِرُونَ الْهُجُومَ عَلَى الْأُمَمِ.

وَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ اضْطَرَبَ النَّاسُ وَتَحَيَّرَ قَوْمٌ، وَحَصَلَ مَا حَصَلَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ لِيَبْعَثَ السَّكِينَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ بِالْمُجْتَمَعِ، فَقَامَ خَطِيبًا وَقَالَ: (مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ).

فَمَا دَامَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا حَيًّا فَلَا حَاجَةَ لِلانْزِعَاجِ وَلَا لِلاضْطِرَابِ، فَنَزَلَتِ السَّكِينَةُ وَجَعَلَ الصَّحَابَةُ يُرَدِّدُونَ الْآيَاتِ وَالْكَلِمَاتِ الَّتِي قَالَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

وَلَـمَّا غَزَا الْمُسْلِمُونَ الْقَادِسِيَّةَ كَتَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ يَذْكُرُ لَهُ الْفِيَلَةَ وَالْعُدَّةَ وَالْعَتَادَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْفُرْسُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ رِسَالَةً مُسْتَعْجَلَةً: (إِنَّا لَا نُقَاتِلُ بِعَدَدٍ وَلَا عُدَدٍ، وَإِنَّمَا نُقَاتِلُ بِهَذَا الدِّينِ، فَإِنْ أَنْتُمْ صَدَقْتُمْ وَصَبَرْتُمْ نَصَرَكُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ).

فَلَمَّا وَصَلَتِ الرِّسَالَةُ وَقُرِئَتْ عَلَى الجَيْشِ هَبَّتِ الرُّوحُ المَعْنَوِيَّةُ وَتَفَاءَلَ النَّاسُ بِالنَّصْرِ، وَكَانَ كَذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَحْمَتِهِ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيم.



(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ!

إِنَّ نَشْرَ الْإِحْبَاطِ وَالْإِكْثَارَ مِنَ التَّشَاؤُمِ لَا يَزِيدُ الْمُسْلِمَ إِلَّا هَمًّا، وَلَا يَجْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ إِلَّا غَمًّا؛ فَيَزِيدُ الْعَاصِي فِي عِصْيَانِهِ، وَيَزِيدُ الْمُضْطَرَّ فِي اضْطِرَابِهِ.

جَاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَبِيرًا فَأَتَى إِلَى عَابِدٍ فَقَالَ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، وَكَيْفَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْكَ وَقَدْ فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ؟ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ وَلَكِنِ اذْهَبْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا صَالِحِينَ فَاعْبُدِ اللهَ جَلَّ وَعَلَا مَعَهُمْ. فَذَهَبَ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ وَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ.

حِينَ يُبْعَثُ الْأَمَلُ يَنْتَشِرُ الخَيْرُ الْكَثِيرُ، ويُدفعُ الشرُّ.

وَلَكِنْ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، الْمُسْلِمُ الذي يَسْعَى فِي إِثَارَةِ الِاضْطِرَابَاتِ، وَفِي إِثَارَةِ الْفِتَنِ ويَزِيدُ الطِّينَ بِلَّةً، وَيَزِيدُ الْفِتَنَ اشْتِعَالًا، ثُمَّ يَطْلُبُ الطُّمَأْنِينَةَ؛ وَيَطْلُبُ عَكْسَ

أفعالِهِ، يَطْلُبُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، وَيَطْلُبُ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ؛ وَأَعْمَالُهُ ضِدُّ ذَلِكَ، فهذا مَغْرورٌ، فاحذرُوا الأعمالَ التي تُثِيرُ الفتنَ والاضطرابَ.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُزَعْزِعُ الْأَمْنَ وَالسَّكِينَةَ وَتُثِيرُ الشَّرَّ وَالِاضْطِرَابَ: الْخُرُوجُ عَلَى حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ؛ مَا أَكْثَرَ الدَّعَاوَى الَّتِي يَنْشُرُهَا الخَارِجُونَ، تَارَةً بِاسْمِ الظُّلْمِ، وَتَارَةً بِاسْمِ الْوَطَنِ، وَتَارَةً بِاسْمِ كَذَا وَكَذَا، وَكُلُّهُمْ خَوارِجُ يُزَعْزِعُونَ الْأَمْنَ وَيُخَالِفُونَ السُّنَّةَ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ وَمَا جَرَى لَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ.

قَالَ ﷺ حِينَ ذَكَرَ لَهُ الصَّحَابَةُ مَا يَجْرِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ».

وقال: (إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا)، والأثرةُ: أَيْ: حُكَّامٌ يَسْتَأْثِرُونَ بِالْأَمْوَالِ وَالمَنَاصِبِ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»

هَذَا هُوَ الحَلُّ النَّبَوِيُّ، الحَلُّ الشَّرْعِيُّ الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالى، وَمَا يَأْتِي مِنَ الْبَشَرِ مِنْ حَلٍّ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بِجَانِبِ مَا جَاءَ مِنَ اللهِ تعالى وَرَسُولِهِ ﷺ.

وِمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُثِيرُ الْفِتَنَ والاضطراب: نَشْرُ الْخُمُورِ وَالْمُخَدِّرَاتِ، وَمَا يُشْبِهُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهَا تُدَمِّرُ الشُّعُوبَ، وَتُذْهِبُ الْعُقُولَ، وَتُبِيدُ الْهِمَمَ، وَتَجْعَلُ الْمُجْتَمَعَ مُجْتَمَعًا لَا أَمَانَ فِيهِ.

وفِي بعضِ الأيامِ قُبِضَ عَلَى عِصَابَةٍ مِنْ تُجَّارِ الْمُخَدِّرَاتِ وَمَعَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ طَنًّا مِنَ الْمُخَدِّرَاتِ وَالْحَشِيشِ، هَؤُلَاءِ جُزْءٌ مِنَ الْعِصَابَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي دَاخِلِ الْبِلَادِ هُنَا وَهُنَاكَ، يَنْشُرُونَ الْفِتَنَ وَيُزَعْزِعُونَ الْأَمْنَ، وَيُفْسِدُونَ الْبَلَدَ، بلْ وَيُصَدِّرُونَ الْفَسَادَ إِلَى بِلَادٍ مُجَاوِرَةٍ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنَ الْفِتَنِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي تُزَعْزِعُ الْأَمْنَ وَتَنْشُرُ الِاضْطِرَابَ: هَذِهِ الْحِزْبِيَّاتُ وَالْبِدَعُ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ؛ كُلُّ وَاحِدٍ يَتَلَقَّى لَهُ دَعْمًا مِنْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ، وَيُؤَسِّسُ حِزْبًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَى السُّلْطَةِ، فَإِنْ وَصَلَ وَإِلَّا زَعْزَعَ أَمْنَ الْبِلَادِ وَأَثَارَ الْفِتَنَ، كُلَّمَا زَادَ دَعْمُهُ زَادَتْ فِتْنَتُهُ، لَا يُبَالِي بِدِينٍ وَلَا بِأَمْنٍ وَلَا بِمُجْتَمَعٍ وَلَا بِمَصَالِحَ عَامَّةٍ وَلَا خَاصَّةٍ.

فَهَذِهِ الْفِتَنُ -فِتَنُ السُّلْطَةِ- أَشَدُّ سُكْرًا مِنْ فِتْنَةِ الْخَمْرِ، مَنْ سَكَرَ بِالسُّلْطَةِ فَهُوَ أَشَدُّ غَوَاءً مِمَّنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، مُسْتَعِدٌّ أَنْ يَقْتُلَ أَخَاهُ، أَبَاهُ، عَمَّهُ، قَرِيبَهُ، يُدَمِّرَ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَى السُّلْطَةِ.

وَهَذِهِ الْأَحْزَابُ -وَلَوْ سَمَّتْ نَفْسَهَا إِسْلَامِيَّةً- هِيَ أَلْغَامٌ مُؤَقَّتَةٌ تَنْفَجِرُ فِي الْمُجْتَمَعِ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَنْشُرُ الِاضْطِرَابَ: السَّرِقَةُ وَالنَّهْبُ؛ فَإِنَّ هَذَا يَجْعَلُ النَّاسَ يَعِيشُونَ فِي قَلَقٍ وَفِي رُعْبٍ، يَنْتَظِرُونَ الْعِصَابَاتِ، مَا أَنْ يَغِيبَ الشَّخصُّ عَنْ مَحَلِّهِ قَلِيلًا حَتَّى يُنْهَبَ، أَوْ مُعَسْكَرٌ يَغِيبُ أَفْرَادُهُ عَنْهُ حَتَّى يُنْهَبَ.

بِاللهِ عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، مُجْتَمَعٌ يَنْهَبُ كُلَّ مَا يَتَيَسَّرُ لَهُ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْمُجْتَمَعِ حَاكِمٌ كَعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ؟ لَا بُدَّ أَنْ نَسْعَى فِي تَضْمِيدِ الْجِرَاحِ وَنَشْرِ الطُّمَأْنِينَةِ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ ليَكونَ المستقبلُ أفضلُ.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

****

بقية الخطب ستضاف قريبًا بعون الله تعالى

فهرس مواعظ شهر الصيام برقم الموعظة

القسم الأول: مواعظ شهر الصيام (من ص ٧ -٦٤)

....

فهرس الخطب برقم الخطبة

